٠الجامعة اللبنانية

كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية

العمادة

مبادئ الفكر الأمّوي عند سعيد عقل

رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم السياسية

إعداد

نعمه يعقوب نعمه

لجنة المناقشة

الدكتور سايد مطر	الأستاذ المشرف	رئيساً
الدكتور علي ترحيني	أستاذ مُساعد	عضواً
الدكتور كميل حبيب	أستاذ	عضواً

٢٠١٧



ملخص التصميم العام للرسالة:

تعود مسألة القوميات في العالم إلى الظهور من جديد، بعد أن خفت نجمها لعقود من الزمن لأسباب عدة، أهمها العولمة. فنرى أقليات إعتقدنا لوهلة من الزمن أنها ذابت أو إضمحلّت في رحاب قوميات أوسع، مثال القوميات الصغيرة المناطقية في فرنسا كـ "البروتان" (le Breton) وفي اسبانيا كقومية إقليم الباسك. في الشرق الأوسط عدنا إلى مسألة الكرد ومطالبتهم بالأستقلال ضمن الحدود التاريخية الكردية.

سعيد عقل المفكر اللبناني كان قد وضع أسس ومبادئ للأمّة اللبنانية ودرسها وحللها وعمل على نشرها وبثها في الشعب اللبناني عبر العديد من الوسائل الفكرية الحضارية. نظم فيها الشعر وحاضر وأسس وألهم تأسيس حركات سياسية وفكرية خدمة للأمة اللبنانية. أثّر في الفكر اللبناني فطبع عصراً بأكمله بشخصه وفكره. أنشأ جائزتين بأسمه خدمة لهذه الأمة اللبنانية.

سنتعرّف في هذه الرسالة على المفكرين الذين تأثر بهم وعلى تفاصيل أمّويته ومسارها التاريخي. وعلى تمايزها عن غيرها من العمارات الفكرية الأمّوية.

واجهت هذه الأمّوية تحديات عدة من داخل لبنان ومن خارجه، لكنها استمرت وأثبتت فعاليتها في خضم الرياح الفكرية والإقتصادية والسياسية التي عصفت بلبنان.

هذا الكبير من لبنان سوف ندرس حبه للبنان وكيف أنه سخّر عمره وفكره ووقته وماله من أجل لبنان.

المقدمة:

لماذا سعيد عقل؟

رُبَّ قائلٍ إنَّ سعيد عقل شاعراً، أو أديباً مجلاً في عالَمِ الكِتابَةِ الإبداعية الفَنِّيَّة. يمكن للباحِثينَ درسَه في فروع الآداب اللبنانية والعربية والفرنسية فحسب، أو يمكنُ لِلْقارِئينَ في أَبْعادِ أَدَبِهِ سبرُ أَغْوارِ فكره في إِطارٍ فَلْسَفِيٍّ أَوْ دينِيٍّ روحِيّ.أما في فرع العلوم السياسية فهذا جديد وربما ضرب من المغامرة.

ولد سعيد عقل منذ ما يزيد على مئة سنة (ولد سنة ١٩١٢ في زحلة وعاش وترعرع فيها). بدأ نجمه يسطع في ثلاثينيات القرن العشرين، حيث مارس السياسة نظير أتراب له في الأدب والفكر، أمثال أمين نخلة، ميشال شيحا، شارع قرم، يوسف السودا، جواد بولس وشارل مالك.

إنَّ سعيد عقل من ذاك العصر، عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، حين احتل العديد من رجال الفكر في لبنان وأوروبا وأفريقيا والعالم كافة في تلك الحقبة، مراكز متقدّمة في الفكر والأدب والسّياسة والعلوم... وساهموا في بلورة العديد من الأفكار السياسيّة والقرارات المصيريّة في بلدانهم على أكثر من صعيد.

سعيد عقل الشاعر الكبير ترشح للانتخابات النيابية عن المقعد الماروني في زحلة سنة ١٩٦٥ ولم يحالفه الحظ. ورعى منذ العام ١٩٦٨ "اتحاد الطلاب القوميين اللبنانيين" الذي رئسه الناشط الطالبي آنذاك رشاد الموسوي، ثم أعلن ترشحه إلى الانتخابات الرئاسية العام ١٩٧٦، وقدم مشروع حكم وعمل، ضمّه لاحقاً الى كتابه "الوثيقة التبادعية"، ثم جعل تلك الأفكار عقيدة لحركة سياسيّة فكرية سماها "الطليعة التبادعية".

ألهم مؤسسي حزب حرّاس الأرز على مبادئه وميثاقه فأبصر النور سنة ١٩٧٥. وكان قد بدأ منذ سنة ١٩٣٥ يجول في كل مناطق لبنان من الشمال الى الجنوب ومن البقاع الى الساحل محاضراً بمبادئه الفكريّة والسياسيّة والفلسفيّة. كان من مؤسسي جبهة الحرية والإنسان في الكسليك سنة ١٩٧٥، لكنّه ما لبث أنْ خرج منها لعدم التوافق مع بعض أعضائهاعلى بندين من ميثاقها التأسيسي.

لكنْ، يجب ألا ننسى أنَّ سعيد عقل العميق الثقافة، المتأثر دومًا بالثقافة الفينيقيّة والاغريقية وفلاسفتهما، وصولاً إلى الفكر الأوروبيّ الحضاريّ، قد سلك أَيْضًا مسلك فَلاسِفَةٍ أمثال أفلاطون وأرسطو وبخاصّة زينون الرواقيّ الفينيقيّ... الذين تخطّوا مع الوقت فلاسفة الفكر العامِّ حتّى بلغ بهم الأمر إلى أن يُصَنَّفوا في خانة فلاسفة الفكر السياسيّ بامتياز، حيث لا يستطيع حاليا أيّ طالب أو باحث في الفكر السياسيّ الا درسهم والتعمق في فكرهم.

لِذا، حاول سعيد عقل أن يكون أحد الفلاسفة – المفكّرين المؤثّرين في دنيا الفكر السياسيّ الأمّوي. على الأقلّ في لبنان موطنه.وَهُوَ إِلى ذلِكَ، مُفكّر رؤيويّ (بمعنى أنه يستشرف المستقبل ولا يتفاعل مع الحدث فحسب) في الفكر السياسيّ، في زمانٍ ومكانٍ كان فيهما الشرق الأوسط يعجّ بالصراعات القومية ويلهث باحثا عن أسس ثابتة لقوميةٍ ما وَهويّة جديدة، لكل مجموعة من المجموعات المكوّنة لهذه المنطقة، أو لأسس بنيوية للدول المنشأة حديثاً بعد انهيار السلطنة العثمانية. من القومية العربية إلى الإسلامية فالسورية الإجتماعية والقبطية في مصر واليهودية، ولا ننسى قبلها الطورانية...

عَمِلَ سَعيد عَقْل في السياسة اليومية (انتخابات وجمعيّات وتجمّعات...) كما أَنَّهُ نظَّر لمبادئ وأفكار سياسية ووطنيّة، ومنها بالأخصّ، القوميّة عمومًا واللبنانية خصوصًا. بدءًا من أربعينيّات القرن الماضي. وَراح يجول في المدارس والنوادي والندوات العلمية والثقافيّة والتجمّعات الشعبيّة، طارحًا أفكاره حول هذا الموضوع، مدعّما إياها بالحجج العلمية والتاريخية والإِتْنِيَّة والجغرافية...

دعته الشاعرة "جان دورتال" في كتابها "فيلسوف الزمن، اللحظة والخلود، مُصلح اللغة، المناضل السياسي، مهندس روح أمته"، وأشارت الى وضعه كـ "مناضل سياسي" واعتبرته "لاهوتي اللبنانية"، حسب نظرية عن لبنان طوّرها طوال حياته، وبالتالي شكّلت الإيديولوجية اللبنانية الأساس لغالبية نشاطه الفكري[١]. فسعيد عقل الذي يضاعف أشكال الكتابة يبقى مخلصاً لرسالته الأمّوية[٢].

أثار سعيد عقل موجة من ردود الفعل على أفكاره الأمّوية: منها الرافض بطبيعة الحال ومنها المرحّب والمتبنّي لها. وقد أثارت أفكاره جدلاً كبيرًا جعلت القرّاء والدّارسين والمتابعين يتفاعلون معها بشكل كبير، ومع شخصه بالذّات في أَحيانٍ كثيرة، سَلْبًا أَو إيجابًا.... ومن هنا ولوجنا هذا الموضوع في

[١](جان) دورتال، **سعيد عقل شاعر لبنانيّ كبير**، ص ١٤

Jean DURTAL, **SaïdAKL, un grand poète libanais**, nouvelles éditions latines, Paris ١٩٧٠,

[٢] كلوي قطّار، **المسار السياسي والفكري عند سعيد عقل، ١٩٣٠–١٩٦٥**، ص ٢٢

Chloé Kattar, **L’itinéraire politique et intellectuel de Said Akl, ١٩٣٠-١٩٦٥**, Mémoire non publiée, Université Saint-Joseph, Beyrouth ٢٠١٥, p ٦

رسالتنا علّنا نستطيع تسليط الضوء على موضوع القوميّات في العالمِ عمومًا، وفي لبنان خصوصًا من خلال سعيد عقل كنموذج.

أما بعد، فلقد تعرفت على سعيد عقل سنة ١٩٨٠ وكان لي من العمر أربع عشرة سنة، حين قرأت مصادفة جريدة "لبنان" واستهواني حرفها وأفكارها فاتصلت به على رقم كان نشره على الصفحة الأولى، فإذا به يجيب شخصياً ويحدّد لي موعداً نهار السبت قبل الظهر في بيته في بدارو في حرج الكفوري... وتتالت اللقاءات أيام السبت، وشاءت المصادفات أن أتخصص في العلاج الفيزيائي وأن يصاب بنزف طفيف في الرأس في ١٩ آذار ٢٠٠٢، فكنت أنا معالجه الفيزيائي، وقد استعاد كامل قدراته الجسدية ولم يترك النزف أيّ أثر يذكر، وأعترف بأن ذلك كان بفضل مثابرته ونشاطه وتصميمه التي لا تلين.

في ١١ أيلول ٢٠٠٦ جلسنا سويًا، لمدة ساعتين ونصف الساعة وأخذت منه حديثاً تاريخياً بالنسبة إليّ، كنت قد حضّرت له منذ شهور، جامعاً الأسئلة، أي سؤال ممكن أن يرد في ذهني، لم أكتفِ بذلك بل طلبت معونة أصدقاء ساعدوني في التحضير لبعضها.

كل هذه الأحداث والمواقف دفعتني وأنا طالب في الجامعة اللبنانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، وفي رسالتي الواجب تحضيرها في قسم الدراسات العليا من العلوم السياسية لأن تكون رسالتي عن إنسان أعتقد أنه أحب لبنان حتى العظم فبشّر بأمّويته وكتب وتغنّى به.

بدأت الأفكار القوميّة في العالم كنوعٍ من التحرّر وتأكيد الذات الشخصيّة والجماعيّة، تجاه الآخر في أوروبا أولاً، ثم انتقلت الى الشرق الأوسط أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وتَبَلْوَرَتْ هذِهِ الأَفْكارُ لاحقًا في الكيان اللبنانيّ، الذي أصبح باكورة المناطق في السلطنة العثمانيّة التي تعرّفت على هذه المبادئ والأفكار. تفاعل لبنان معها وكان قدوة لغيره من مناطق الشرق الأوسط. من لبنان كانت بدايات القومية العربيّة، والسورية القوميّة الإجتماعية، وتلاقحت مع بقية القوميّات المناطقية مثال القبطية وغيرها...

في أَثْناءِ المطالعات حول موضوع القوميّة، وَسعيد عقل في شكل خاصّ، واجهتنا مسائل عديدةٌ وأسئلة بحثيّة متنوّعة، دعتنا إلى التنقيب عنها ودراستها. وسوف نعرضها أسئلة تُشكّل منصّات للتفكير والتّوسّع في متن المبحث في ما بعد:

- كيف كانت الحركة الفكرية في لبنان قبيل الحرب العالمية الأولى وبعده خلال الإنتداب؟

- هل تَشَكَّلت قوميّة واحدة في لبنان؟ أم إنَّها كانت افكارًا ومبادئ جمعت بين قوميات متنوّعة؟
- هل إنَّ الأفكار والمبادئ التي تتحدّث عن الأمّة اللبنانية كانت موحدة؟ أم كانَ لكل مفكر قوميته اللبنانية الخاصة به؟ وما هي نقاط الالتقاء والافتراق بين كل هذه القوميات في لبنان؟
- إذا كنا قد سألنا عن الحركة الفكرية في لبنان عامة، فما هي البيئة الفكرية والثقافية والإجتماعية عند سعيد عقل تَحْديدًا؟ وكيف أثّرت فيه؟
- هل يمكننا اعتبار مبادئ الأمّة اللبنانيّة عند سعيد عقل ناتجة من إبداع فكره؟ أم كانت في عصره مدرسة أو أكثر (المجلة الفينيقية مثلا) أو تيّارات ضمن القومية اللبنانية أو شخصيات فكريّة (شارل القرم، يوسف السودا، ميشال شيحا، الأب روفايل نخله، الأب مرتين اليسوعيّ...) استقى سعيد عقل منها أفكاره؟ فما هي مصادر القومية اللبنانية عند سعيد عقل؟
- ما العوامل المؤثّرة في الأمّوية اللبنانية عند عقل؟ ثم ما هي المبادئ والسياسات التي ترسم معالم قَوْمِيَّتِهِ؟ وعلام تنصّ؟
- ما الجديد في هذه المبادئ المتعارف عليها في العلوم السياسية عامة؟ وهل تستند هذه القومية إلى أفكار ومبادئ، تدخل ضمن فكر سِياسِيٍّ ومنهج منظم؟أم انها شطحات فكريّة أدبيّة؟
- هل قومية سعيد عقل انفتاحية أو إقصائِيّة عنصرية؟
- هل ظلّ سعيد عقل عند حدود الفكر والنظريات والتنظير؟ أو عمل على تطبيقها وإنزالها إلى أرض الواقع، من خلال تأسيس حزب أو جريدة أو أيّ علامات أخرى فارقة ومميزة؟
- إلى أيّ مدى استطاعت الأمّوية اللبنانيّة عند سعيد عقل التأثير في الساحة السياسيّة والفكريّة في لبنان؟
- كما ينبغي التساؤل عَمّا إذا كانت قومية سعيد عقل تتبنّى معايير كلية كونية universel أو صيغت لمكانٍ (لبنان) وزمانٍ (حقبته) معيّنَين؟ ولظروف سياسيّة آنية ضيقة؟ (كرد فعل على الوجود الفلسطيني في لبنان مثلا)؟
- لنصل إلى السؤال الأخير، عن ديمومة هذه الأفكار الأمّوية، وهل كانت آنية عابرة أم قابلة للحياة في حد ذاتها؟ وأين هي اليوم من أفكار السياسة اللبنانية وممارساتها ؟

كل هذه الأفكار والتساؤلات سوف نحاول الإجابة عنها ونوضحها مستعينين بالمراجع المتوافرة لدينا وبمقابلات مع المفكّر نفسه، كما مع أشخاص عاصروه وشهدوا لحقبة مهمة من حياته الفكرية والشخصية.

القسم الأوّل:

المبادئ النظريـة للقوميّة في لبنان عامة وعند سعيد عقل

ترقى مسألة القوميّات (حتى لو لم تُعرّف حسب التوصيف الحديث للكلمة) إلى عمق التاريخ. وهي ارتبطت بوعي الإنسان لهوية ارتباطه بالقوم واللسان والأرض والتراث والتاريخ. غير أنّ يقظة القوميّات السياسيّة أدركت شعوب الغرب الأوروبي في نهاية عصر النهضة ومستهلّ عصر الأنوار[١].

ويرقى مفهوم الأمة بدلالاته الحديثة إلى الثورة الفرنسيّة، إذ أنها حين قطعت رأس الملك فكّت ارتباط الأمة به، لتجعل منها مبدئيّاً، كياناً قائماً بذاته أو شخصيّة اعتباريّة لها حقوق وعليها واجبات. كما إنّها نقلت في الوقت ذاته السيادة من الملك إلى الشعب الذي يُفوض أمره لنواب يعملون وينطقون باسمه. وإذ ألغت الثورة امتيازات النبالة والوراثة والأرستقراطية وغيرها، سوّت بين المواطنين مبدئيّاً في الحقوق والواجبات[٢]. لقد تمّ إبدال الحاكم المطلق ذي الحقّ الإلهيّ بمفهوم الأمة[٣].

إنّما هناك من يعتبر إنّ بدايات الأفكار القوميّة كانت في ألمانيا مع بدايات ترجمة الكتاب المقدّس (الإنجيل) من اللاتينيّة إلى اللغة الألمانية الشعبيّة. ومع بدايات الثورة البروتستانتية أي مرحلة إنشاء فكر وأدب ألمانيين، وبالتالي تمايز هوية ألمانيا واستقلاليتها عن بقيّة الممالك الأوروبية السائدة في ذلك الوقت.[٤]

من هنا نجد أن التعريفات والأسس منقسمة بين مدرستين كبيرتين. الأولى: المدرسة الفرنسيّة، وخير من يعبّر عنها كان إرنست رونان في المحاضرة المعروفة بعنوان "ما هي الأمّة؟" والتي ألقاها عام ١٨٨٢. وخلاصة رأيه: "ليست الأمة اللغة ولا الأرض ولا الدين ولا العرق، بل هي حصيلة تاريخ طويل من الآلام والأضاحي جعل منها ما هي عليه الآن. والمرء يحبّ الشيء بنسبة ما يضحّي في سبيله. الأمة روح ومبدأ معنويّ تتألف من عنصرين هما بالنتيجة واحد... الأول في الماضي من إرث وذكريات والثاني في الحاضر أي في الحياة المشتركة وإرادة العيش معاً. وبهذا المعنى هي استفتاء

---

[١] (مشير) عون،**بين الدين والسياسة**، دار النهار، بيروت ٢٠٠٨ ، ص ١٥٠

[٢] (أنطوان) مقدسي، الأمة– الإشكالية، منشور في " **المسألة القوميّة على مشارف الألف الثالث، دراسات مهداة إلى انطون مقدسي**"، دار النهار، بيروت ١٩٩٨، ص ٢١٦

[٣] (جورج) قرم، **شرق و غرب: الشرخ الإسطوري** ، دار الساقي، بيروت ٢٠٠٣، ص ٦٣

[٤] مقدسي، م. س. ص ٢١٦ – ٢٢٥

مستمرّ"[1]. والمدرسة الثانية هي الألمانية التي تعتبر أن الأمة لغة وحسب. وهذا ما شدّد عليه الشاعر والفيلسوف الألماني فخته (١٨١٤-١٧٦٢) الذي ألقى في جامعة برلين ١٨٠٧- ١٨٠٨ أثناء احتلال جيوش نابليون ألمانيا، أربع عشرة خطبة جُمعت في كتاب (رسائل إلى الأمة الألمانية) خلاصتها ما يلي: الايمان بتفوق العبقريّة الألمانية. والاعتقاد بأنّ اللغة الألمانية هي بين اللغات الجرمانية، وأكثرها أصالة، واللغة هي التي ترسم حدود الأمة بانتشارها. فحدود الأمة ليست جغرافيّة بل حضاريّة. وبخاصّة إنّ الأمة تتألف من عرق ولغة. وإنّ وحدة الدم والعرق في ألمانيا هي التي خلقت وحدة الأمة، وليس للتاريخ، ولا تأثير كبير للعيش المشترك، في ذلك، خلافاً لما في الأمم الأخرى[2].

لكنّنا لا نستطيع تجاهل بقيّة المدارس الفكريّة، ومنها النظريّة الماركسيّة التي تعتبر أنّ نشوء الأمم حصل في عصر الرأسمالية (توحيد الأسواق، إلخ)، أو النظريّة الصناعيّة التي تربط نشوء الأمم بالانتقال من المجتمع الزراعيّ إلى الصناعيّ أي مع الثورة الصناعيّة، أو النظرة السوسيولوجيّة الحديثة التي ترى في الدولة القوميّة الشكل الحديث (قبالة الشكل التقليديّ) لتنظيم المجتمع[3]...

في هذا القسم سندرس بدايات الأفكار القوميّة التي عرفها لبنان، بخاصة تلك التي تأثر بها سعيد عقل. سنجيب عن السؤال حول بدايات الحركات القوميّة في الشرق الأوسط وبالتالي في لبنان، وكذلك تأثير لبنان في الأفكار القوميّة في المشرق العربيّ، مختصرين قدر المستطاع بما يخدم الموضوع الرئيس، ألا وهو سعيد عقل وفكره القوميّ اللبنانيّ.

---

[1] (إرنست) رونان، **ما هي الأمّة؟** ، ص ١٨

Ernest RENAN ***Qu'est-ce qu'une nation ?***, *édition: le mot et le reste* , Marseille ،٢٠٠٧ .

[2] مقدسي، م. س. قص ٢١٩

[3] (فالح) عبد الجبار، **القوميّة مرض العصر أم خلاصه**، دار الساقي، بيروت١٩٩٥، ص ٥

الفصل الأول:
ظهور الأفكار القوميّة في لبنان على اختلاف أنواعها

إنّ الفكرة القوميّة حديثة في الشرق الأوسط لم تنطلق إلا من تغيّر أساسيّ طرأ على التقنيّة وعلى المجتمع وتفكيره وذهنيّته في العصور الحديثة، حتى أنّ كلمة القوميّة في اللغة العربيّة كانت كلمة مستحدثة في نهاية القرن التاسع عشر، وهي من جهة ثانية خاضعة في تلبّسها للأوضاع وتحقّقها عمليًّا للظروف التاريخيّة والسياسيّة والمقوّمات الجغرافيّة والإقتصادية والتيارات القائمة في هذه المرحلة بالذات التي مرّ بها هذا الشرق[١].

في لبنان ومنطقة الشرق الأوسط لم تبدأ الأفكار القوميّة من عدم، بل جاءت بعد سنين من العمل الدؤوب والكثير من الأحداث والفعاليات الفكريّة والسياسيّة التي مهدت وعملت على بلورة هذه الحالة، فما الظروف والأحداث والمضامين والعوامل التي أدّت إلى ظهور الأفكار القوميّة في الشرق الأوسط؟

يجب ألا ننسى أنَّنا كنّا في ظلّ الدولة العثمانيّة حيث كانت تعتبر كل طائفة دينية أمة مستقلة بذاتها ومعترفًا بها من السلطات. وعليه، لم يكن العرق أو "القوميّة" هو الذي يميّز بين جماعة وأخرى، بل الدين.

كما إنّ كلمة "عرب" ذاتها قليلاً ما كانت تطلق في الكتب والوثائق على سكان الولايات العربيّة في الإمبراطورية العثمانيّة، وإنّما كانت تطلق على بدو الصحراء وحدهم.[٢]

كان لبنان قبل غيره باكورة المناطق ضمن الدولة العثمانيّة في إطلاق هذه الأفكار التقدميّة بسبب المناخ الفكريّ والسياسيّ السائد فيه، وهذا ما سنراه في الفقرة التالية.

---

[١] (كمال) جنبلاط، **الفكرة القوميّة، أضواء على حقيقة القضية القومية الإجتماعية السورية**، الدار التقدمية، بيروت١٩٨٧، ص ٩٤

[٢] (زين) زين، **نشؤ القوميّة العربيّة**، دار النهار ، بيروت ١٩٨٦، ص ٣٩-٤٣

١- الحركة الفكريّة في لبنان قبل الحرب العالميّة الأولى

إنّ العوامل التي كانت تؤثّر في لبنان وتخلق روح العداء نحو الأتراك، كانت متعدّدة الجوانب، منها انتشار التعليم. ففي العام ١٨٦٦ أسّست بعثة بروتستانتية أميركيّة " الكلّيّة السورية البروتستانتية" التي أصبحت فيما بعد "جامعة بيروت الأميركيّة". وبعدها تمّ تأسيس الجامعة اليسوعيّة الفرنسيّة، عدا عن المدارس والمعاهد الكاثوليكيّة والإنجيلية العديدة في لبنان. كما نذكر تغلغل آراء الثورة الفرنسيّة، وإحياء اللغة العربيّة وآدابها، وتأسيس المطابع، وإنشاء الصحف، وعودة بعض المهاجرين اللبنانيين من أميركا الشمالية. لكن يجب أن لا ننسى أن العامل الرئيسيّ لهذه الأفكار الأمّوية هو الشعور العدائيّ نحو الأتراك والقومية الطورانية (الذي ترجم بعمل فكري إيجابيّ)، والسبب الأساس هو أنّ المسيحيّين كانوا يعتبرون أَنفُسَهُم مواطنين غرباء في بحر من السيادة التركية السنّية. فهم لم يشعروا في ظلّ الحكم العثمانيّ بأنَّ الحكومة العثمانيّة حكومتهم. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر عامل آخر دفع بهم للمطالبة باستقلالهم، هو نشوب الحرب الأهليّة في لبنان سنة ١٨٦٠. وكان من الطبيعي، بعد تلك الحوادث المريعة، أن يطالب موارنة لبنان بالانفصال التامّ عن الامبراطورية العثمانيّة، حماية لأنفسهم لما كان من أثر للدولة العثمانيّة ولعنصر الدين في تلك الحوادث.

وعلينا أن نذكر أيضاً أنَّ اللبنانيّين كانوا على صلات مع الغرب أوثق من الصلات التي كانت قائمة بين الغرب وسائر الأقطار العربيّة في الشرق الأدنى. فكان لبنان أشبه بممرّ للتيّارات الفكريّة الغربيّة باتّجاه الولايات الأسيويّة في الإمبراطورية العثمانيّة، ما جعل من الطبيعي أن يكون اللبنانيّون أوّل من تأثّر بالحضارة الغربيّة. كما كان معظم المسيحيّين يتّجهون بأنظارهم نحو الغرب المسيحيّ، ولا سيّما فرنسا، باعتبارها منارة من منائر الحضارة الغربيّة.

بالاضافة إلى ذلك، ما قامت به جمعيّة "تركيا الفتاة" من محاولات لتحقيق برنامج التتريك على الولايات العثمانيّة كافّة، فأدّى ذلك إلى خلق حافز قويّ لزعماء المشرق للتشديد على القوميّة العربيّة وفي مطالبتهم بالاستقلال التامّ للبلاد العربيّة وعامل على توحيد قواهم. فلا نكون بعيدين عن الحقيقة إذا قلنا إنّ السياسة العرقيّة القوميّة التي كانت تتبعها "تركيا الفتاة" هي التي ألهبت شعور القوميّة في نفوس العرب[١].

---

[١] زين، م. س. ص ٩٠

اتّجهت هذه الفئة من المفكّرين والمثقّفين نحو النهضة والشعور القوميّ إسوة بأمم أوروبا الناهضة، واتّخذ الكثير منها طابع الجمعيّات السريّة، خصوصًا في سوريّة ولبنان. ولم يكن همَها نهضة دينية للإسلام او إصلاحه بل العمل المعارض للسلطنة العثمانيّة وتأسيس الدولة العصرية. فظهرت للمرة الأولى في المشرق في نهاية القرن التاسع عشر حتى ثلاثينيات القرن العشرين أحزاب سياسيّة راوحت بين الفكر الشيوعيّ والفكر القوميّ المصريّ أو السوريّ أو العربيّ، جنباً إلى جنب مع أحزاب نادت مثلاً بقوميّات أقل انتشارًا. واتّخذ عدد كبير من قادة هذه الحركات ومفكّريها القاهرة مقرًا لها (بفضل خضوعها للإنكليز المناهضين للسلطنة العثمانيّة وأصحاب مصلحة في وعي قوميّ عربيّ معاد للترك وفي ظلّ قانون مطبوعات أكثر ليبراليّة) وفي جنيف المحايدة، وفي باريس التي كانت تسعى إلى تدعيم نفوذها وتقويته في الشرق الأدنى[1].

في العقد الذي سبق إعلان دولة لبنان الكبير، قدّمت شخصيّات لبنانيّة وسوريّة مذكّرات عديدة إلى الحكومة الفرنسيّة، منها مذكّرة رجل الأعمال السوريّ جورج سمنة الذي دعا إلى كيان سوريّ موحّد مع وضع خاص لجبل لبنان، في حين كانت أغلبية المذكرات الأخرى لبنانية وتدعو إلى كيان لبناني مستقل وموسّع عاصمته بيروت. أما الاتجاه الثاني بمواجهة الوحدويين والفدراليين، فكان أصحابه ينادون بخصوصيّة لبنان، ولكنّهم انقسموا أيضاً إلى فئتين. الأولى دعت إلى الفكرة اللبنانيّة وحبّذت فكرة إمارة الجبل المارونيّ بحماية فرنسيّة، ودعمها الغلاة من اللبنانيّين مثلاً: فردينان تيّان. والفئة الثانيّة في الاتجاه اللبنانيّ كانت جماعة من الفرنكوفونيّين من أصدقاء فرنسا، الذين حصّلوا تعليماً فرنسيًّا. فكانوا كثيري العدد تدعمهم الكنيسة المارونيّة، ارتبط بعضهم بالمصالح التجاريّة الفرنسيّة مباشرة. وكان هدفهم توسيع الجبل ليضمّ جزءًا من البقاع ومدينة بيروت، نذكر منهم: بولس نجيم. وفي مواجهة اتّجاهات اللبننة، كان ثمّة طرف نقيض دعا إلى أُمة إسلاميّة أو عربيّة.

بين دعاة الوحدة الإسلامية أو العربيّة أو السوريّة ودعاة لبنان الصغير، بدا أنّ "القوة الثالثة" التي حبّذت توسيع الجبل ليصبح "دولة لبنان الكبير" هي الفائزة. ولعلّ من آباء مصطلح "لبنان الكبير" بولس نجيم الذي وضع حججًا عام ١٩٠٨ لقيام كيانٍ سياسيّ اعتبره موجودًا "بالقوّة" منذ الإمارتين المعنيّة والشهابيّة وحجّمه الحكم الذاتيّ في المتصرفيّة، ويحتاج اقتصاده الوطنيّ ليكون صالحاً للحياة إلى ضمّ بيروت والساحل والمناطق الزراعيّة شرقاً وجنوباً ليكون موجوداً "بالفعل". وكذلك من أبرز دعاة هذه الفكرة في تلك الفترة، يوسف السودا وأنطوان الجميّل اللذان أسّسا في القاهرة تنظيم "الاتحاد اللبنانيّ" الذي قام

[1] (كمال) ديب، **بيروت والحداثة – بيروت والهويّة الثقافة والهويّة من جبران إلى فيروز**، دار النهار، بيروت ٢٠١٠، ص ٦٥

باتصالات سياسيّة دبلوماسية لافتة. ويعتبر النص الذي وضعه السودا عصارة "الفكرة اللبنانيّة" كما تبلورت في ما بعد، وملخّصها أنَّ لبنان يتمتع بحدود طبيعيّة تاريخيّة تضمّ إلى جبله البقاع والساحل وعكّار، ويمتد تاريخه إلى الزمن الفينيقيّ وحقبة الإمارة. وفسّر السودا مراحل تاريخ الجبل بأنَّها كانت سعياً دائماً نحو الاستقلال، وإنّ الأمير بشير شهاب الثاني هو أبو الاستقلال الأوّل وإنّ حرب عام ١٨٦٠ كانت نضالاً وطنيًّا ضدّ الإحتلال العثمانيّ، وإنَّ تدخّل الدول الأجنبيّة، ولاسيّما فرنسا، كان للدفاع عن استقلال لبنان.

بينما اعتبر السنّة المحيط السوري الأوسع وطنهم، فيما آمن كثيرون منهم بأمّة عربيّة أو إسلاميّة كبرى. وكان موقف الأرثوذكس من دولة لبنان الكبير، وبالتالي الهويّة اللبنانيّة المميّزة، قريباً من موقف السنّة. وفي مواجهة الحسّ السنّي والأرثوذكسيّ في الانتماء إمّا إلى "وطن سوريّ" أوسع أو إلى مشروع عربيّ يضمّ الجزيرة العربيّة والمشرق والعراق، كانت النخبة المثقّفة المارونيّة في بداية القرن العشرين تطوّر مفهوم "الفكرة اللبنانيّة"، وهي فكرة تتطلّب إبراز جذور لبنانيّة خالصة تعود إلى الفترة الكلاسيكيّة التي تشبه تلك التي عاشتها بلاد الإغريق القديمة. إنّ توليفة هذا التراث الكلاسيكيّ وإبرازه خدما "الفكرة اللبنانيّة" في توقها إلى عقيدة قوميّة لبنانيّة خاصّة.

مع فوز منطق الكيان الموسّع في أوساط الموارنة وولادة دولة لبنان الكبير بإشراف فرنسا، انضمّ دعاة الكيان الصغير والكيان الكبير إلى صفّ الإنتداب. وكان من أبرز السائرين في الكيان الكبير تحت الإنتداب الفرنسيّ إميل إده وبشاره الخوري وميشال شيحا وأوغست أديب وغيرهم، فيما ذهب يوسف السودا وبولس نجيم أبعد من ذلك، ودعوا إلى استقلال لبنان عن فرنسا.

اصطدمت الفكرة اللبنانيّة بمعوّقات مذهلة منذ عشرينيات القرن العشرين. فعلى الصعيد الثقافيّ مثلاً، ما بدأه المثقفون المسلمون والمسيحيّون معاً منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بمساعدة الغرب، من تحرّر وازدهار، انقلب في دول المشرق المستقلّة إلى عداء محكم للغرب الاستعماري، وابتعاد عن المؤسّسات الديمقراطيّة وبالتالي (وهنا الأهمّ في موضوع بحثنا) الخلط بين القوميّة العربيّة والإسلام.

هذا من ناحية القوميّة اللبنانيّة التي من الاستقلال وحتّى السبعينات من القرن العشرين، جرت محاولات تدعيمها في أذهان الأجيال الجديدة[١]. أمّا من ناحية القوميّة العربيّة فهنالك من يعتبر أنَّها " في

[١] ديب، م. س. ص ٨٤– ١١٢

طورها التكوينيّ والتاريخيّ وفي أطوار نموّها لا يمكنها أن تنفصل عن الإسلام"[1] والمصادر الحقيقية للتاريخ العربيّ الإسلامي تجبرنا على الجزم أنّ القوميّة العربيّة ولدت ونشأت يوم مولد الإسلام.[2] وهذا ما يشكل لها عائقاً.

وهنا بدايات الفرق بين المفاهيم المكوّنة للقوميّة بين الغرب المسيحيّ والشرق المسلم. ففي الغرب كانت القوميّة السياسيّة جزءًا من حركة علمنة الحضارة المسيحيّة. وهي حركة علمانيّة بعض جذورها متأصّل في الثورة الفكريّة التي تطلق عليها تسمية حركة النهضة (Renaissance). وأسفرت المعركة بين القوميّة والمسيحيّة عن انتصار الأولى. وعلى اعتبار أن خلاصها يتوقّف على وضع نظام سياسيّ اجتماعيّ علمانيّ من صنع الإنسان ذاته، لا على نظام دينيّ. بينما في الشرق الأوسط ذات الغالبيّة المسلمة، وحسب مفهوم العقيدة الدينيّة المسلمة، لا يمكن الفصل بين الإسلام والقوميّة العربيّة[3].

من أوائل من تكلّم على مفهوم القوميّة بالمطلق في لبنان كان المعلّم بطرس البستاني (١٨١٩–١٨٨٣)، من مواليد الدبّية وتلميذ مدرسة عين ورقة حيث كان تحديده للانتماء القوميّ بعنصري اللغة والأرض، بينما تحتلّ المصلحة المشتركة المرتبة الثانية. حرص البستاني ومعاصروه في تحليلهم للتمدَن في أعقاب الحرب اللبنانيّة الأهليّة الأولى سنة ١٨٦٠ على التشديد على المقوّمات الوطنيّة، وليس على الدين، التي تقضي بتوحيد كلمة أبناء الوطن، واعتبروها عمليًّا المخرج الوحيد ممّا كانت تتخبّط فيه البلاد من انقسام طائفيّ ودينيّ وما أصابها من خراب وتقتيل.[4]

كذلك أديب اسحق (١٨٥٦–١٨٨٥) المولود في دمشق والذي درس على يد اليسوعيّين في بيروت كان أوّل من تكلّم على "مفهوم الوطن". وأنجح وسيلة لخلق الروابط الوطنيّة هي التربية التي تبدأ بالتعليم الإلزامي المجّانيّ لتكوين المواطن الصالح. ويردّ أديب اسحق حبّ الوطن إلى الإلفة والتعلّق بالأرض وبأبناء الوطن الواحد. كان فضل أديب اسحق أنّه مهّد للانتقال من مفهوم الوطن والأمّة إلى مفهوم القوميّة. أمّا الشيخ ابراهيم اليازجي، فاعتبر أنَّ اللغة هي الأمة بعينها، فكما تشخّص تاريخها

---

[1] (زين) زين، **نشؤ القوميّة العربيّة**، دار النهار ، بيروت ١٩٨٦، ص ٩

[2] المصدر نفسه، ص ١٣٦

[3] المصدر نفسه، ص ١٤٤

[4] (ماجد) فخري، **الحركات الفكريّة وروادها في عصر النهضة (١٨٠٠– ١٩٢٢)**، دار النهار، بيروت ١٩٩٢، ص ٢٨

وعلمها وعادتها وعبادتها فإنّها تشخّص الأمة بنفسها. وبها يُشار إليها، كما أنّها مجمع إلفتها والوصلة الحسّيّة بين أفرادها[1].

تلاحقت الأفكار فالتقت حينًا وتصارعت أحيانًا كثيرة في ما بينها، فخلقت في لبنان حركة فكريّة سياسيّة مميّزة، سوف ندرسها باختصار كتمهيد للفصل الثاني.

٢- نقاط الإلتقاء والإفتراق في الأفكار القوميّة في لبنان

بدأت الأفكار القوميّة تغزو لبنان منذ ما قبل الحرب الكونيّة الأولى، من محض لبنانيّة إلى سوريّة وعربيّة وإسلاميّة، وفي قلب كل من هذه العناوين القوميّة الكبيرة كان هنالك العديد من الفروقات والتمايز حتى ليصحّ القول إنّ كلّ مفكّر أطلق قوميّة خاصّة به متمايزة عن غيرها، فنكاد نرى عدد المدارس القوميّة موازيًا لعدد المفكّرين.

احتاجت فكرة القوميّة اللبنانيّة إلى البعد التاريخيّ، فظهرت منذ بداية القرن العشرين، كتابات شتّى وضعها مثقّفون ومفكّرون أوصلت الى مكتبة متينة عن أصل لبنان الفينيقيّ. والى كتابة الرواية الرسميّة للكيان. لذا شغلت الخصوصية اللبنانيّة العديد من المفكّرين اللبنانيّين، فتنوّعت نظرتهم إلى لبنان (وبالتالي إلى وجهة انتمائه القوميّ) بتنوّع ثقافاتهم واتجاهاتهم الفكريّة والسياسيّة، والتصوّر الذي نظروا منه إلى لبنان:

أ- التصوّر الوضعيّ الذي يتناول لبنان الجغرافيّا
ب- التصوّر الوضعيّ الذي يتناول لبنان التاريخ والمجتمع.
ج- التصوّر الدينيّ الذي يعتبر أنَّ الدين الإسلامي هو الجامع بين لبنان والعروبة.
د- التصوّر الفلسفيّ الذي يعرض للبنان في حدّ ذاته كيانًا ومصيراً.
هـ- التصوّر الرؤيويّ الذي يعنى برسالة لبنان ودعوته التاريخيّة.

سوف ندرس هذه النظريّات المختلفة بحسب الترتيب الذي سبق وذكرناه أعلاه.

---

[1] (فدوى) نصيرات، **المسيحيّون العرب وفكرة القوميّة العربيّة في بلاد الشام ومصر (١٨٤٠- ١٩١٨)**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت ٢٠٠٩، ص ٩٩

أ- التصوّر الوضعيّ الذي يتناول لبنان الجغرافيا

تعدّدت الركائز التي يستند إليها المنظّرون في القوميّة في العالم، إحدى هذه الركائز هي التصوّر الجغرافيّ، الذي يُعتبر أنَّ الجغرافيّا هي التي تحدّد القوميّة وتتفرّع منها بقيّة العناصر المؤثّرة من تاريخ وشخصيّة جماعيّة وإرث ثقافيّ...

أهمّ من كتب عن القوميّة اللبنانيّة حسب التصوّر الجغرافيّ كان جواد بولس. وقد اعتبر أنَّ جغرافيّة لبنان هي العامل الجوهريّ في صياغة تاريخ هذا البلد وإعطائه طابعه الخاص كوجود قائم بذاته. فما قدّمته الجغرافيّا وبلوره التاريخ، كَوَّنَ العناصر الكافية والأسس الموضوعيّة لقيام أُمّة لبنانيّة. فالبيئة تؤثّر تاريخيّا لأنَّ الوضع الجغرافيّ يحثّ المجموعات الإنسانية على التحرّك، أو بالعكس، فيحدّ من مجالاتها الحيويّة. فالبيئة إذاً محرّك تاريخيّ قويّ. والطبائع الإثنيّة التي صاغتها وأثبتتها عوامل البيئة الطبيعية، تميّز الشعوب واحدها عن الأخر وتشكّل المحرّكات الرئيسيّة في نشاطاتها. لهذا قال البعض إن "السياسة هي بنت التاريخ، والتاريخ ابن الجغرافيا، والجغرافيا لا تتغير، من هنا أمكن القول مع جواد بولس، ما قاله فريدريتش راتزل من قبل عن أهميّة "التفسير الجغرافيّ للتاريخ"!.[١]

ثاني شخصيّة فكريّة درست القوميّة من زاوية جغرافيّة كان أنطون سعاده إنّما من منطلق إقليميّ أوسع. انطلق فكر أنطون سعاده القوميّ من قلق وجوديّ، فهو الأرثوذوكسيّ من جبل لبنان، يشعر بامتداد طائفي واجتماعي لجماعته (عبر الكنيسة والمدرسة الأرثوذوكسيّتين)، ضمن ما سمّاه لاحقا بالهلال الخصيب (سوريّا، لبنان، العراق، فلسطين، وأحيانًا الكويت ونجمته قبرص). هو يرى نفسه سائرًا نحو الذوبان في بحر من العرب وبالأخصّ في بحر إسلامي واسع، من هنا أنتج فكرة القوميّة السوريّة، ضمن مساحة جغرافيّة أوسع من لبنان، حيث يعيش المسيحيّون والروم الأرثوذوكس بالأخصّ. إستند سعاده إلى حجج وأسانيد جغرافيّة وتاريخيّة ليثبّت قوميّته ويدعّمها. لكنه مع ذلك تراه يعطي الكيان اللبنانيّ خصوصيّة ذات بعدين مهمّين، وإنّما متّصلين بالقوميّة السوريّة: لبنان هو النطاق الضامن للفكر والحريّة. ومع ذلك وبعد مرور ٢٧ سنة على إعلان دولة لبنان الكبير وما تلاه من تطوّرات قال سعاده في بيانه الأوّل بعد العودة من أميركا اللاّتينية (بيان آذار ١٩٤٧): "لم آتِ بعد غياب نحو تسع سنوات لأكون حرباً على هذا الكيان بل لأكون قوّة فيه وله"[٢].

---

[١] (جواد) بولس، **التاريخ والجغرافيّا في نشؤ الأمم والشعوب**، دار الأبجدية، بيروت، دون تاريخ، ص ١١

[٢] (انطون) سعاده، **سعاده في الأول من آذار**، الحزب القوميّ السوريّ، بيروت ٢٠٠٤، ص ٨١- ٨٨

ب–التصوّر الوضعيّ الذي يتناول لبنان التاريخ والمجتمع

الركيزة الثانية تقوم على عنصر التاريخ الذي يُعتبر مسيرة متوغّلة في القدم ومستمرّة في المستقبل عبر إرادة العيش المشترك، وعبر عمليّة الانصهار الجَماعيّ المستمرّ والمستدام.

أوّل من كتب ونظّر للقوميّة اللبنانيّة عبر هذا التصور كان يوسف السودا، وقد رأى في فينيقيا الإرث التاريخيّ وجذور الكيان اللبنانيّ الحديث. فثمّة استمراريّة بين فينيقيا الأمس ولبنان اليوم تاريخيّاً وجغرافيّاً وثقافيًّا، مع تركيز جليّ على البعد التاريخيّ لتلك الاستمرارية. وفي هذا يَكْمن نظام يوسف السودا الفكريّ القومي والسياسيّ، وهو في أساس ما أسماه جورج هارون أيديولوجيّة القوميّة اللبنانيّة، التي أصبحت أيديولوجيّة القوميّين اللبنانيّين ورمز نضالهم وهدف حياتهم السياسيّة. وكان السودا قد أسّس في مصر حزب "الاتحاد اللبنانيّ" وضمّنه أفكاره وتطلّعاته عن الأمة اللبنانيّة المستقلّة [١].

ثاني من تكلّم على السند التاريخيّ في تحديد الهويّة اللبنانيّة، كان كمال الصليبي المؤرّخ اللبنانيّ. فتحت عنوان "اليقظة اللبنانيّة"[٢]، يتحدّث الصليبي عن "تغيّرات جذريّة طرأت على حياة لبنان الإجتماعية والثقافيّة، وكان لها الأثر في معظم ما يميّز لبنان من سواه في الشرق الأدنى. ويعيد ذلك، بلسان المفكّر الفرنسيّ المعروف والسائح "فولني" (Volney) الذي رد ازدهار لبنان إلى كثافة سكّانه على صغر أرضه ووعورتها، إلى "شعاع الحرّيّة"، بحيث "أصبح لبنان أكثر أجزاء السلطنة انفتاحًا على التأثير الخارجيّ"[٣]. أما النواة الأساسيّة للكيان اللبنانيّ، فيرى الصليبي إنّها تعود إلى العام ١٦٦٧ عندما وَحَّد الأمير المعنيّ المناطق الدرزية وكسروان، برضى الدولة العثمانيّة، فأصبحت هذه الوحدة نواة الكيان اللبنانيّ الذي نشأ في ما بعد بانضمام المناطق الشماليّة إلى بلاد الإمارة أواخر القرن التالي.

وثالث من نذكر ممّن تكلّموا على السند التاريخيّ في تحديد الهويّة هو شارل قرم، الشاعر المثقّف والتاجر الغنيّ الذي تخلّى عن أعماله الماليّة الناجحة لينصرف إلى الفكر والأدب. قام بعد الحرب العالميّة الأولى بإطلاق نادٍ فكريّ وحركة دراسة الماضي الفينيقيّ للبنان، وأصدر المجلّة الفينيقيّة La Revue Phénicienne باللغة الفرنسيّة. وكانت لمبادرته تلك خلفيّة مزدوجة:

- التأكيد على الشخصيّة المميّزة للبنان على سائر الأقطار العربيّة، انطلاقًا من التاريخ اللبنانيّ.

---

[١] (جورج) هارون، **أعلام القوميّة اللبنانيّة: يوسف السودا**، منشورات الكسليك، الكسليك، ١٩٧٩، ص ٦

[٢] (كمال)الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار، بيروت، ١٩٩١، ص ١٥٩

[٣] المصدر نفسه، ص ١٦٠

- تخطّي الانقسام الطائفيّ بين المسلمين والمسيحيين بالعودة إلى الأمجاد الماضية، إلى التاريخ الفينيقيّ القديم لمدن الساحل اللبنانيّ، على غرار ما حصل في عهد النهضة الأوروبيّة عندما لجأ المؤرّخون إلى إبراز التراث المجيد للثقافة اليونانيّة والرومانيّة القديمة ما قبل نشأة المسيح.

ج- التصوّر الدينيّ العروبيّ

بعد الحرب العالميّة الأولى تم الجمع بين العروبة والإسلام، إذ لم يستطع المنظرون المسلمون الفصل بين الدين والقوميّة، ولم يتصوّروا القوميّة العربيّة من دون السند الدينيّ الإسلامي، علمًا بأنَّ القوميّة العربيّة ساهم في بلورتها المسيحيّون والأقليّات الأخرى في لبنان وسوريّا والعراق قبل المسلمين.

أوّل من تكلّم من العرب على الاجتماع الإنساني كان ابن خلدون وقد خطا خطوة واضحة في اتّجاه التخلّص من مقولة الأمة بالمعنى الدينيّ. فبالنسبة إليه، إنّ مفهوم الأمة هو مفهوم بيولوجيّ. ولذا ليس غريباً أن يُلتبس مفهوم الأمة بمفهوم القبيلة.[١]

لم تظهر النزعة القوميّة العربيّة كتيّار سياسيّ في لبنان والمشرق العربيّ، الا قُبيل الحرب العالميّة الأولى. واقتصرت على خطّ نخبويّ - أيديولوجيّ لا جماهيريّ رفعته بعض النخب المثقّفة (مسيحية ومسلمة) في اتّجاهين متناقضين. الأوّل يطغى عليه اللون المسيحيّ ويطالب بتثبيت استقلال لبنان، والثاني يطغى عليه اللون الإسلامي ويطالب بالوحدة مع سوريّة كخطوة لا بد منها للوصول إلى الوحدة العربيّة الشاملة.[٢]
بعد سقوط الإمبراطورية العثمانيّة وانهيار نظام الخلافة، لم يغيّر إعلان دولة لبنان في الفكر السياسيّ الوحدويّ في الإسلام السنّيّ اللبنانيّ، وذلك رغم ما حمله الكيان الجغرافيّ الجديد من تحوّلات بنيويّة جذريّة في تركيبة المجتمع اللبنانيّ ، نذكر منها حلول المسلمين السُنّة محلّ الدروز، في المعادلة الإجتماعية السياسيّة إلى جانب المسيحيّين[٣]. مع ذلك ظلّ القوميّون العرب على رفضهم (انطلاقًا من نزعتهم الدينيّة) لوجود كيان لبنانيّ خاصّ على الرغم من تاريخيّة هذا الكيان، فسعوا إلى دمج لبنان الكيان في المحيط العربيّ الإسلامي، حتى وصل الأمر ببعض المؤرّخين والمفكّرين اللبنانيّين المسلمين،

[١] (ناصيف) نصار، **مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ . دراسة في مدلول الأمة في التراث العربيّ الإسلامي** ، مكتبة الفكر الاجتماعي، بيروت ١٩٩٢، ص ١١٦- ١٢٩

[٢] (وليد) نويهض، لبنان الطائفي وأزمة البحث عن وطن، المنشور في **القوميّة مرض العصر أم خلاصة**، دار الساقي، بيروت ١٩٩٥، ص ١٥٦

[٣] (كميل) مبارك، **الجذور الثقافيّة للحروب اللبنانيّة**، منشورات الحكمة، بيروت ٢٠٠٩، ص ١٩٠

الى اعادة أصل الفينيقيّين إلى شبه الجزيرة العربيّة من أجل صهرهم في المجتمع الصحراويّ الواحد، بعلّة أنَّ شبه الجزيرة العربيّة قد فاضت بموجات متتابعة من سكّانها الأصليّين كالكنعانيّينَ ومنهم كان الفينيقيّون والآراميون[1].

تمسك المسلم اللبنانيّ باللغة العربيّة كتعبير عن تشبّثه بالأمّة العربيّة التي اعتبرها رابطًا عضويًّا بالعالم العربيّ والمسلم. وهو يجد فيها التعبير الأمثل، عن أصالته الفكريّة، التي تشكّل الدوافع الأيديولوجيّة والحضاريّة والثقافيّة والتاريخيّة، وهي بالتالي الخلفيّة الذهنيّة لتفكير المسلم اللبنانيّ وسلوكه. فارتباطه باللغة العربيّة، هو ارتباط وجدانيّ ودينيّ وعقائديّ، خصّه به الإسلام ويعود تشبّثه بها إلى انتمائه الشخصيّ للدين الإسلامي.

د- التصوّر الفلسفيّ

في مطلع القرن العشرين، اعتبر كثيرون أنَّ للبنان رسالة حضاريّة دائمة، فلبنان دائمًا كان صغير المساحة كبير الفعل والتأثير في محيطه وفي العالم، ومن هنا جاء من يتكلّم على هذا السند من الزاوية الفلسفيّة. وحاول التركيز على الدور الفاعل والمؤثّر.

أفضل من عبّر عن هذه الزاوية الفلسفيّة كان شارل مالك، الذي تأخذ الخصوصيّة اللبنانيّة معه بُعداً آخر. فهو "يحرّرها" حتّى لا تبقى "رهينة" لهذه المعايير "القوميّة" الرائجة، التي على أهميّتها تُبقي الصراع الدائر حول لبنان، وغيره من الدول والأمم، في إطار القبول أو الرفض لمقولة اجتماعيّة، وهي أنَّ لبنان يشكّل كيانًا طبيعيًّا مبرراً وقادراً على الحياة والاستمرار في معترك التاريخ.

يتميّز فكر شارل مالك الفيلسوف القوميّ بربطه البعد الإنساني بالبعد الوطني، فهو يخرج النقاش من مستواه الاجتماعي إلى مستواه اللاهوتي – الفلسفي. الخصوصيّة اللبنانيّة عند شارل مالك هي مقولة فلسفيّة. هذا يعني نقل لبنان من قضية اجتماعيّة – سياسيّة إلى قضية غائيّة (Finaliste) فلسفيّة. وفي هذه الحالة، لا بد من رياضة فكريّة تبرّر هذا الفكر[2]. يرى مالك أنَّ الأمة اللبنانيّة، شأنها شأن أمم آسيا وأوروبا، ولدت من خليط أعراق مختلفة، وساهمت بفاعليّة في سبك الشخصيّة اللبنانيّة المعترف بها دوليًّا. فتلك الشخصيّة، أوّلاً، هي ذات بعد جيوسياسيّ، ومن ثمّ، صاحبة ثقافة عالميّة مرتكزة على تاريخ مجيد

---

[1] مبارك، م. س.، ص ١٤٣

[2] (شارل) مالك ، **لبنان في ذاته**، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٧٣، ص ٩- ٢٥

يمتدّ إلى أكثر من ستّة آلاف سنة. فلبنان منذ غابر العصور ملتقى الناس والأفكار، ومهد الحضارات، وهو اليوم وطن الحرّيّة الإنسانية[١].

هـ-التصوّر الرؤيويّ الإقتصادي

من ضمن النظرة أو السند الذي يعتبر أنَّ للبنان دورًا مميّزًا في هذا الشرق خصوصًا، وفي العالم عامّة، هنالك من تكلّم على دور لبنان في الليبراليّة الفكريّة، وكتحصيل حاصل، الليبراليّة الإقتصادية. أول من تكلّم على هذا السند كان ميشال شيحا رائد الأيديولوجيّة الليبراليّة اللبنانيّة بأبعادها السياسيّة والأخلاقيّة والمجتمعيّة والإقتصادية الماليّة والثقافيّة، إذ يتمحور فكره الوطنيّ حول تأسيس وطن لبنانيّ نهائيّ، ذي كيان خاصّ، لا يُصهر ولا يُضمّ إلى أي كيان آخر. وعلى مثال يوسف السودا، اعتبر شيحا أنَّ لبنان اليوم هو استمرار لفينيقيا الأمس. بناء عليه، ليس من باب الصدف أن يصبح ميشال شيحا، في نظر العقائديّين الماركسيّين والقوميّين، الخصم الأوّل والأخطر في معترك "اللبننة". فهو منظّر الليبراليّة اللبنانيّة بامتياز وبكل أبعادها، وهو يجزم أنَّ مستقبل لبنان يتماهى جوهريًّا مع الحرّيّة[٢].

و- التصوّر الرؤيويّ اللغويّ

في الستينيّات والسبعينيّات من القرن العشرين، برز العديد من المفكّرين الذين حاولوا الدمج والخلط بين مسلمين ينادون بالعروبة المسلمة، والتي لا مكان للمسيحيّ فيها، وبين المسيحيّين المنادين بلبنان المتميّز كليًّا عن محيطه أو حتى المنقطع الوصال معه. حاولوا علّهم يخرجون بتوليفة فكريّة توحّد اللبنانيّين حولها، هذه التوليفة ربما بقيت فكريّة ومرفوضة لأنَّها بين حدّين نقيضين لا مجال لها للنموّ.

تُعدّ فلسفة كمال يوسف الحاج عن القوميّة اللبنانيّة الأولى من نوعها في هذا المضمار، إلاّ أنَّ نقطة انطلاقها لم تكن الحالة اللبنانيّة بحدّ ذاتها، بل معضلة لغويّة. فقد رأى كمال الحاج أنّه لا يمكن للوجدان أن يعبّر عن ذاته الا بلغة واحدة هي اللغة الأمّ. فالقلب ليس له سوى لغة واحدة، والإبداع أو الخلق لا يلد وينمو الا بفضل لغة واحدة عفوية، هي اللغة الأمّ[٣]. كمال الحاج قال بأنَّ "الفكرة اللبنانيّة" لم تكن تحتاج إلى الكثير من التبرير طالما أنَّ الكيان حيّ وفاعل وموجود. ويتابع بأنَّ القوميّة اللبنانيّة

---

[١] (صلاح) ابو جوده، **هوية لبنان الوطنية نشأتها واشكالياتها الطائفية**، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٨، ص ١٨١- ١٨٣

[٢](نبيل) خليفة، **مدخل إلى الهويّة اللبنانيّة**، لا دار للنشر، بيروت ١٩٩٧، ص ١١٠

[٣] (كمال) الحاج، **فلسفة الميثاق الوطني**، مطبعة الرهبانّية اللبنانيّة، بيروت ١٩٦١، ص ٢٤١- ٢٤٢

موجودة بالفعل والقانون. وهي وليدة إرادة جماعيّة تعود بجذورها إلى مئات السنين في التاريخ. لقد صارت صيغة رياضيّة... "هناك دولة لبنانيّة تجيز لي عقلانيًّا أن أؤكّد وجود القوميّة اللبنانيّة ولا تجيز لك أن تؤكّد إلاّ عاطفيّاً وجود قوميّتك العربيّة" [١].

كلّ تلك التصوّرات تفاعلت وتناضحت في ما بينها في لبنان، فكانت محض فكريّة أحيانًا ودمويّة في بعض الأحيان. لكن نطرح سؤالاً لا بدّ منه: هل أثّر لبنان قبل الحرب العالميّة الأولى وبعدها في نشر الأفكار القوميّة وبلورتها في المشرق العربيّ؟ هذا ما سنراه في الفقرة التالية.

٣- مساهمة لبنان في بلورة الفكر القوميّ في الشرق الأوسط

بدأت الأفكار القوميّة تنتقل إلى لبنان، وتتبلور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لتمتدّ إلى بقيّة مدن الشرق الأوسط وأقطاره وإن بنسب متفاوتة. كانت نخبة من المثقّفين المسيحيّين اللبنانيّين قد بدأت تتكون منذ القرن السابع عشر، بعناية فرنسا والإرساليات الدينيّة الكاثوليكيّة. ولكنّها لم تتمكّن من إحداث حركة ثقافيّة انقلابيّة طوال قرنين ونيّف لضآلة عدد أفرادها من جهة، ولأنّ الصراعات الدينيّة كانت تحدّ من تحرّكهم من جهة أُخرى. من هنا فإنّ النهضة في المشرق، استمدّت ديناميكيّتها بالدرجة الأولى من اللبنانيّين [٢].

بداية الحراك اللبنانيّ كان في إعادة الاعتبار للّغة العربيّة مقابل محاولات الأمبراطورية العثمانية في نشر اللغة التركيّة وطمس العربيّة. فقام العديد من الكتّاب اللبنانيّين بإغناء المكتبة العربيّة بالقواميس اللغويّة ودرس المخطوطات العربيّة وإصدار الجرائد السياسيّة والأدبيّة، نذكر منهم بطرس البستاني وسليمان البستاني وجرجي زيدان وابراهيم اليازجي وغيرهم الكثير الكثير.

كان اللبنانيّون عامة والمسيحيّون خاصّة أول من طالب بالاستقلال عن الدولة العثمانيّة وعملوا على إبراز القوميّة العربيّة حين كانت هذه القوميّة علمانيّة بحتة غير مرادفة للدين الإسلامي، ثمّ انكفأ العديد من المسيحيّين عنها حين أصبحت صنو الإسلام لا ينفصلان عن بعضهما ولا تعرف غير التراث والحضارة الإسلامية.

---

[١] ديب، م. س. ، ص ٥٠

[٢] مقدسي،م. س.، ص ٢٢٩- ٢٣٠

كما يجب ألا ننسى الجمعيّات التي أنشأها اللبنانيّون في بيروت ومصر وبلاد الاغتراب المنادية بالاستقلال عن تركيا، نذكر منها "الجمعيّة الإصلاحية البيروتيّة" في بيروت. وفي مصر تمّ تأسيس"الاتحاد اللبنانيّ"، سنة ١٩٠٩. فعلى إثر إعلان الدستور العثمانيّ الجديد وتحمّس الناس له، نشر بعض اللبنانيّين في جريدة المقطّم بيانًا يحثّ اللبنانيّين على التنازل عن امتيازات لبنان والانضمام إلى الدولة بحجّة أنَّ المجال أوسع وأرحب للنشاط اللبنانيّ في تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف، الأمر الذي أثار القلق لدى اللبنانيين المقيمين في مصر واضطرّهم إلى شنّ حربٍ صحفيّة ضدّ الدعاية القائمة في القاهرة والاسكندريّة، ودفعهم إلى العمل على تأسيس جمعيّة "الاتحاد اللبناني"، وذلك تحت شعار محاربة الانضمام إلى الدولة العثمانيّة[١]. أما جمعيّة "النهضة اللبنانيّة" التي نشأت قبل ذلك بسنوات تحت حماية قنصل فرنسا ومراقبته وأكثر أعضائها من المسيحيّين، فكانت من أوائل الجمعيّات التي تأسست لكنّ أعضاءها انضموا في ما بعد إلى حزب اللامركزيّة. ومؤسّسوها هم رجال من آل الخازن، ودعيبس المرّ، وخليل زينة، ويوسف الغلبوني واسكندر عمون، وداود عمون وشكري غانم وخير الله خير الله، والكونت جريصاتي، وزوين الخوري، ونعوم مكرزل[٢].

وتتالت بعد ذلك الجمعيّات التي أُسست بوجه أدبي أو خيري أو ما شابه ذلك، ولكن بفعل وسعي سياسيّين للاستقلال عن الدولة العثمانيّة ونشر الوعي والقوميّة العربية في المشرق العربي.

من المفكرين اللبنانيّين الذين أثّروا في الأفكار القوميّة في المشرق العربيّ وكان لحزبه امتدادات خارج لبنان كان أنطون سعاده الذي أسس في سنة ١٩٣٢ "الحزب السوريّ القومي الاجتماعي"[٣]، وحاول أن يثبت أنَّ هناك أمّة سوريّة لها وجدان اجتماعي مشترك من خلال حقبة طويلة من التاريخ، وهي تشمل سكان سوريا الجغرافيّة بكاملها. أما على الصعيد السياسي، فقد دعا سعاده إلى إعادة توحيد هذه الأمّة وإلى استقلالها السياسيّ استقلالا تامًّا، كما دعا، على الصعيد الداخليّ، إلى توحيد المجتمع توحيداً حقيقيّاً وعميقاً، وذلك بفصل الدين عن السياسة فصلاً تامّاً، لئلا تبقى الانقسامات الداخليّة مستمرّة[٤].

---

[١] نصيرات، م. س.، ص ٣١٠– ٣١٨

[٢] (سليمانّ) تقي الدين، **المسألة الطائفية في لبنان**، دار ابن خلدون، بيروت دون تاريخ، صفحة ٢٢٤

[٣] في كتابه: "نشوء الأمم" يذكر كل أفكاره عن القوميّة السوريّة الإجتماعية، منشورات الحزب، ١٩٩٤

[٤](انطون) سعاده ، **نشوء الأمم**، منشورات الحزب السوريّ القوميّ، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٣٧

حاول سعاده تخطّي الدين في تكوين الهويّة القوميّة للهلال الخصيب عبر العلمنة، من ضمن قلقه الوجوديّ[1]. وبمعنى آخر حاول الخروج من صفة الأقليّة المسيحيّة إلى رحاب العلمنة المنعتقة من عنصر الدين. كما حاول نشر أفكاره عن الهلال الخصيب. وتزامنت دعوته هذه مع بروز الدعوات إلى القوميّات الأخرى، ممّا أثّر سلبا في انتشار أفكاره، التي حاول فرضها بالقوّة في لبنان فقط وانتهى بالفشل والإعدام.

كان الحزب يميل إلى معارضة الفكرة القائلة بوحدة عربيّة شاملة. فهذه الفكرة كانت، في نظره، غير عمليّة، لا بل خطرة، من شأنها أن تصرف العقول، والقوى عمّا كان ممكن التحقيق. لكنّه، بعد ١٩٤٥، صاغ برنامجه صياغة أكثر عروبة، مبرّراً الوحدة السوريّة على أنَّها خطوة أولى نحو تكتّل عربيّ أوسع، تتزعمه سوريّا بعد توحيدها واستقلالها. وإن دلّ ذلك على شيء، فإنّه يدلّ على صعوبة تكوين مفهوم إقليميّ للوطنيّة في عصر، وفي منطقة كانت فكرة القوميّة العنصرية تسودهما. ومع مرور الزمن ونشوء جيل جديد، قبل الحدود الجديدة، فقدت فكرة ما يسمى بسوريا الجغرافيّة قوّتها. لكنّ العوامل التي أدت إلى إضعاف القوميّة "السوريّة" كانت هي نفسها التي قوّت القوميّة "اللبنانيّة". فبعد الإنتداب الفرنسيّ، في ١٩١٨، أعيد للبنان حكمه الذاتيّ الذي كان الأتراك قد أزالوه في أثناء الحرب. وفي ١٩٢٠، أُعلن لبنان مستقلاً بحدود موسّعة. وفي ١٩٢٢، اعتُرف له ضمناً، في صكّ الإنتداب، بكيان منفصل. وفي ١٩٢٦، أصبح لبنان جمهوريّة دستوريّة برلمانيّة[2].

هذه هي المراجعة للأفكار القوميّة في العالم ولبنان، سريعة لأن موضوع البحث لا يسمح بالتوسّع أكثر، ولو أردنا لكتبنا مجلّدات في الفكر القوميّ في الشرق الأوسط والعالم. عرضنا فيها أبرز من حاضر وتكلّم على القوميّة في لبنان، ووجدنا مروحة واسعة من النظريّات والأفكار والمواقف، لكنّها جميعًا تعبّر عن قلق ما، حول الهويّة والمصير، لدى مطلق النظرية. فكلّ واحد من هؤلاء المفكّرين حاول تدعيم مواقفه عبر تسليط الضوء والتركيز على زاوية معيّنة من مقوّمات القوميّة. منهم من ركّز على اللغة، وآخرون على التاريخ أو الجغرافيا والبعض على الدين... وكلّ ذلك لخدمة أفكاره المسبقة وهواجسه، وبالتالي تطلّعاته.

---

[1] أنظر أيضًا (أنطون) سعاده، "**الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية**" سنة ١٩٥٠، نشره في محاولة منه للتقريب بين الديانتين الكبيرتين في الشرق.

[2] سعاده، م. س.، ص ١٣٧

انطلاقًا ممّا سبق، سنحاول في الفصل الثاني درس العوامل المؤثرة والمؤسسة للقوميّة اللبنانيّة في أفكار سعيد عقل، من اجتماعيّة وبيئيّة إلى سياسيّة وثقافيّة وتاريخيّة، كما أنّنا سندرس بإسهاب وبالتفصيل مبادئ هذه القوميّة عند عقل، وكيف صاغ بناءها الفكريّ، وهل تغيّرت أفكار نظريّته مع الأيّام، أم أنّه ظلّ ضمن خطّ بياني جامع صاعد ومتماسك؟

الفصل الثاني:

الأمّوية عند سعيد عقل ومبادئها وأسسها

سنحاول في هذا الفصل، تعقّب العوامل الأساسيّة التي تبلورت على أثرها النظريّة الأمّوية عند سعيد عقل، والظروف التي تَمَّت من خلالها إعادة النظر في كلّ المعطيات القائمة حينئذ. هذا الفصل يبحث في الينابيع الثقافِيَّة والسياسيّة لقوميّته اللبنانيّة، والأحداث الكبرى التي كانَ وقعها مؤَثِرًا في حياته وبالتالي أفكاره. فلا يمكن في هذا المقام، عزل الرجل عن أحداث عصره الشخصِيَّة والعامّة، لأَنَّ هذه الأخيرة ستتَجَلّى بشكلٍ واضح، في نتاجه الفكريّ والسياسيّ، ما يعطي دليلاً على أَنَّ سعيد عقل تكلّم في السياسة في ضوء كلّ تلك الأحداث. وقد لا نبالغ إذا قلنا إنَّ نِتاجَهُ الفكريّ، في نهاية المطاف، هو صنيعة التاريخ والاجتماع من جهة، والوعي السياسيّ والفكريّ من جهة ثانِيَة. وقد تَجَلّى هذا الأمر بوضوحٍ في كتاباته التي تُشَكِّلُ بالفعل تفرّدا في مجال الفلسفة السياسيّة. هذه الكتابات أحدثت إعادة نظر في الكثير من المفاهيم السائدة، أو تلك التي كانَ متعارفًا عليها من قبل. ونشير هنا إلى علاقته الوطيدة بعصره، التي كانَت من باب النقد العلميّ لكلّ ما جرى، أو يجري من أحداث سياسيّة ووطنيّة وثقافِيَّة في لبنان والعالم.

وإذا كنّا نستعيد هنا الأصول والمرجعيّات التي شكّلت الأسس وَالمبادِئَ القوميّة عند سعيد عقل، فذلك لكي نثبت أَنَّ فكره لم يكن طوباويًّا كما يعتقد البعض، وأَنَّه لم يعش في أبراج عاجيّة غائبا تَماما عن الواقع، وما كانَ يجري فيه من أحداث تاريخِيّة. فسعيد عقل كانَ مراقبًا لذلك الواقع بكلّ زخمه، واعيًا إيّاهُ، وكاتبًا على إيقاعاته وتداعياته على مختلف الصُّعد. الأمر الذي يحيل بنا إالى القول، إنَّ الرجل كانَ ملتحمًا بواقعه اللبنانيّ بشكلّ لصيق.

١- نبذة عن حياة سعيد عقل

ولد سعيد عقل سنة ١٩١٢ في زحلة، المدينة البقاعيّة من متصرفيّة جبل لبنان، من عائلة مارونية، غنية[1]. كانَت مدرسته الأولى أمّه الواسعة الثقافة والاطلاع على لغات عَديدَةٍ منها الفرنسيّة[2].

[1] (ناجي) نصر، **سعيد عقل فيلسوفًا**، لا دار للنشر، بيروت ١٩٨٠، ص ٩٢

[2] المصدر نفسه، ص ٦٨

والمدرسة الثانِيَة كانَت "الكلّية الشرقيّة" بإدارة " الأخوة المريميين الفرنسيّين"[1] في مدينته، حَيْثُ تَلَقّى الثقافة العربيّة من أساتذة لبنانيّين، كما الفرنسيّة عَلى يَدِ فرنسيّين أَقِحّاءَ في الحضارة واللغة الفرنسيّة[2]. من هنا نراه فرنكوفونيًّا بامتياز، ولشدّة إتْقانِهِ اللغة الفرنسيّة راح في الإذاعة اللبنانيّة يمارس الترجمة الفوريّة من اللغة الفرنسيّة إلى العربيّة وبالعكس،[3] فأجاد الفرنسيّة غارفًا من مناهلها وناظمًا فيها الشعر.

منذ صغره أحبّ الرياضيّات[4]، وهذا ما سيؤثّر لاحقًا في بناء عمارته الفكريّة التسلسليّة المنطقيّة، في مُعْظَمِ ما قال وكتب من فلسفة وأدب وشعر وسياسة. فكانَ لكلّ فكرة عنده الحجّة والدعامة والسند الفكريّ المناسب. لم يطلق الأفكار جزافًا ولا شطح في موضوع القوميّة اللبنانيّة في دنيا الشعر. حاول أَنْ يَبقى موضوعِيًّا مستَنَدًا إلى مراجع تاريخِيّة وعلميّة. تعرّف لِمدَّةِ ثلاث سنوات، على روائع الآداب العالميّة، من خلال مكتبة ضابط فرنسي، كانَ يخدم في رياق فترة الإنتداب "كانَت تلك فرصة ذهبيّة "[5] وعنصرًا مؤثّرًا وفاعلاً في البناء الفكريّ عند سعيد عقل. أخذ يجمع الأسطر المتفرّقة عن الأدب الفينيقيّ ويضمّ إليها الكتابات التي بدأت تصدر عن حفريّات رأس شمرا (أوغاريت) الحديثة الاكتشاف في ذلك الوقت. واكتشف كم أَنَّ الأدب العبرانِيّ متأثّر بالأدب الفينيقيّ[6]. وقرأ زينون ابن لبنان مؤسّس المدرسة الفلسفيّة الرواقيّة[7]. كما تأثَّرَ بالفلسفة الإغريقية، خصوصًا مع أرسطو في مُثلّث: الحقّ والخير والجمال؛ فأدرك أهمّيّة ذاك الفكر الإغريقي وتأثيره على الفكر الإنسانيّ قاطبة[8].

لقد شغف سعيد عقل بالهندسة كثيرا، وكان يود أن يصبح مهندسا، ولكن تدهور أحوال أهله المادية حال دون اكمال دراسته فانصرف الى المطالعة معتمدا التسلسل التاريخي المنهجي، مكباً عليها ناهلاً من الآداب الشرقية والغربية – قبل المسيح وبعده – ما يَروي نفسه العطشى الى المعرفة، متأثرا بها ومتفاعلاً معها. بدأ بالأدب الصيني ثم السنكسريتي فالفينيقي، فتأثر بنضارة الأدب الأوغاريتي، لما فيه

---

[1] شدّد سعيد عقل أمّامي على ضرورة التفريق بين الكلّية الشرقيّة حين كانَت بإدارة الأخوة المريميين وبين الإدارة الحالية عرفانا منه بالجميل للأخوة ولهذه الرهبنة الأجنبيّة. مقابلة في ١١ أيلول ٢٠١٠

[2] (هنري) زغيب، **سعيد عقل إنَّ حكى**، منشورات AUST، بيروت ٢٠١٠، ص ٢١

[3] مقابلتي مع ماري روز أميدي، بتاريخ ٢٥ ايلول ٢٠١٧

[4] زغيب، م. س.، ص ٢٢

[5] المصدر نفسه، ص ٢٥

[6] المصدر نفسه، ص ٢٦

[7] نصر، م. س. ص ٥٨

[8] زغيب، م. س.، ص ٢٦

من نبل وقيم وحب، ثم الأدب العبراني فالمصري فالعربي والفارسي فاليوناني واللاتيني والإيطالي فالأسباني والفرنسي والإنكليزي فالألماني والروسي.

تأثر أيضًا سعيد عقل بكافة دروب العلوم واهمها: الرياضيات وهو يعتبرها علم العلوم وخصوصًا بفرع الهندسة La géométrie حيث يقول "إقليدوس مخترع هذا العلم هو أب الجيومتري وأستاذ الاساتذة" فهو يعتبر نفسه ابن الرياضيات. كذلك درس علم الفلك وبقي يطالع أحدث الكتب عنه.

من الباب الأَدَبِيّ الفكريّ العريض الذي فُتح لسعيد عقل، استطاع الولُوج الى النخبة الإجتماعية والسياسيّة والماليّة في بيروت. سهّل له ذلك مستواه الثقافِيَّ والاجتماعي. ولا ننكر أَنَّ السياسة والمواقف السياسيّة قد استهوته باكرًا. حين نزل الشابّ سعيد عقل إلى بيروت مطلع الثلاثينات، كانَ حاملاً معه ينابيع المعرفة والعلوم والحضارة، مما جعله محور المفكريّن والأدباء في العاصمة. وذلك في زمن كانَ لبنان خارجًا من السيطرةِ العثمانِيَّةِ ويعمل على تأسيس دولة، وكانَتْ تضجُّ فيه حركة البنيانِ الفكريّ والعلميّ والحضارِيّ من مدارس وجامعات ومسارح وغيره[١].

منذ نزوله إلى بيروت، أخذت المدارس والجامعات تعرض عليه التدريس فيها. علّم في "المدرسة الفرنسيّة العليا للآداب"، التابعة لأكاديميّة "ليون" في فرنسا، وَأَنْشأَ مادّة جديدة في الجامعات عُنْوانُها " كيف تُبدع؟". أساسها، كانَ اكتسبه خلال سنوات تثقّفه الذي لم يتوقّف مطلقًا طيلة حياته، في الآداب كما في كافة ميادين المعرفة، جامعًا الفلك والرياضيّات واللاهوت والتاريخ والفكر العالميّ وغيرها الكثير إلى ثقافته. وهذا ما حداه لاحقًا، بعد أربعين سنة، إلى إنشاءِ حركة "التبادعيّة" التي نشر لها كُتيّبًا أسماه "الوثيقة التبادعيّة" سنة ١٩٧٦[٢].

تابع تأثيره بالمثقّفين من خلال الدروس التي ألقاها في الجامعة اللبنانيّة و"الأكاديميّة اللبنانيّة للفنّون الجميلة" (ألبا). كما ألقى دروسه في جامعة الروح القدس (يذكر سعيد عقل أَنَّه هو من أوحى هذا الاسم على الجامعة)[٣]، حيث درّس مادّة الفكر اللبنانيّ، وفي مدرسة الحكمة، وأخيرًا في جامعة سيّدة اللويزة. كتب في كلّ من: البرق، المعرض، المشرق، لسان الحال، الجريدة، الصيّاد والسفير وغيرها الكثير.

---

[١] زغيب، م. س. ، ص ٣٣

[٢] (سعيد) عقل، **الوثيقة التبادعيّة**، دون دار للنشر، بيروت ١٩٧٦

[٣] زغيب، م. س.، ص ٤٨

في ٤ تَمّوز ١٩٦٢ ولمناسبة عيد ميلاده الخمسين، أَطْلَقَ جائزة شهريّة باسمه، وَاسْتَمَرَّ في إصدارها حَتّى سنة ١٩٧٥ عندما توقّفت بسبب الحرب في لبنان، وكانَت قيمتها ألف ليرةٍ لبنانيّة، فحصل عليها ١٦٢ شخصًا[١]. ثُمَّ عاد وأنشأ جائزةٍ اسبوعية بقيمة مليون ليرة سنة ٢٠٠٠ وَاسْتَمَرَّتْ حوالي أربع سنوات، دعاها جائزة "الكلمة الملكة" تُعطى لمن يكتب كلمة ملكة عن لبنان، حصل عليها ٢٠٠ شخص.[٢]

تُوُفِّيَ في ٢٨ تشرين الثاني سنة ٢٠١٤، عن عمر يناهز مئة وثلاث سنوات. ظَلَّ حَتّى آخر أيّامه ينظم الشعر ويخطّط للبنان مشاريع فكريّة وسياسيّة وَإِنمائِيّة وَعُمرانِيَّة. يستقبل المفكّرينَ والسياسيّين، ويتابع الأمور السياسيّة المستجدّة على الساحة اللبنانيّة. مجموع ما كتب أكثر من خمسين كتابًا نشر بعضها. لم تخلُ قصيدة أو فكرة كتبها من التعبير عن حبّه للبنان والتغنّي بأمجاده منذ القدم وحَتّى اليوم.

٢– المفكّرون الذين تأَثَّرَ بهم سعيد عقل

يتوافق زمن شباب سعيد عقل مع ما عرف بزمن المخاض في الشعر والوطنيّة والفلسفة: معركة حول مفهوم الشعر ومساره، معركة حول مفهوم لبنان (الدولة والكيان)، تمثّلت الأخيرة بنشوء الأحزاب والتكتّلات المختلفة جذريًّا في ما بينها (السوريّ القوميّ الاجتماعي – الكتائب – الكتلة الدستوريّة – الكتلة الوطنيّة، الشيوعي...) وَالتَيارات السياسيّة المتصارعة (تيّار مؤتَمَر الساحل – وتيّار المعاهدة مع فرنسا، تيّار لبنان المستقلّ وتيّار الوحدة العربيّة)، ومعركة حول مفهوم الله بين الماركسيّة وخصومها، ومعركة حول المبادئ الإقتصادية (رأسماليّة – اشتراكيّة). إنَّها معارك ثقافِيَّة فكريّة شاملة على جبهة الفنّ والوطن واللاهوت[٣].

[١] (أنطوان) الأشقر، إطروحة دراسات عليا في الأدب العربي غير منشورة ، الجامعة اللبنانية، تحت عنوان: " **سعيد عقل ناقدًا فنيًا من خلال براءات جائزته**" الفنار ١٩٨٠، ص٧٦

[٢] في مقابلة مع الصحافي الأستاذ حبيب يونس في ٢٤ أيلول ٢٠١٦ _ جبيل.

[٣] (نبيل) خليفة، **مدخل إلى الخصوصيّة اللبنانيّة**، لا دار للنشر، بيروت ١٩٩٧، ص ٢٧٤

في بيروت تأثر سعيد عقل بشارل قرم وكتب في مجلته "La Revue Phénicienne" التي كانت تعمل على احياء الأمّوية اللبنانية والإرث الفينيقي تمييزًا للبنان عن الانتماء العربي. هذه الأفكار آمن بها سعيد عقل طيلة حياته وعمل على نشرها وتجسيدها[١].

وتعرّف سعيد عقل بميشال شيحا فتفاعل مع أفكاره وسنرى ذلك منطبعًا في مبادئه الأمّوية. وَهُنا، نذكر بعضًا من أفكار شيحا التي تأثَّر بِها سعيد عقل:

أ. إنَّ لبنان أُمّة متفرّدة، في نوعها وجنسها، بلد لا يشبه الّا ذاته، وهذا ما يجب أنْ ندركه مَرّة واحدة. ينعت شيحا لبنان بذاته، فهو لا يعترف بدور للغة في أساسات الأُمّة، كما لا دور للإيمانِ الدينيّ المشترك في تحديد الانتماء القوميّ (ركيزتَي القوميّة العربيّة)[٢،٣]

ب. اللبنانيونَ هم بوتقة انْصَهَرَتْ فيها الأعراق وَالإِثْنِيّات. وبسبب هذا الاختلاط، لا يجوز الاقتصار في تعريف أصلهم على أَنَّهم مجرَّد ساميّين، كذلك لا يجوز اعتبارهم فينيقيين وحسب. واللبنانيّونَ ليسوا بأتراك أو أوروبِيّين، على الرغم من اختلاطهم بهؤلاء وأولئك، إنَّما اللبنانيّونَ مجرَّد "لبنانيّين"[٤].

وعليه، فقول سعيد عقل بلبنان "اللبنانيّ" قد يكون استَمَدَّه من ميشال شيحا أو يوسف السودا كما سنرى لاحقًا.

تأثَّرَ سعيد عقل أيضًا بكتاب "سوريا التاريخ الشامل" للمؤرّخ اليسوعيّ الأب "هنري لامنس" Henrie LAMENS، الصادر في بيروت سنة ١٩٢١، حيث يقول فيه المؤلّف عن الأمير فخر الدين الثاني المعنيّ إنَّهُ كانَ المؤسّس لقوميّة لبنان[٥].

كما تعرّف سعيد عقل على المحامي يوسف السودا، الذي كان قد أَسَس حركة اسمها "الاتحاد اللبناني". وكان رائداً في ربط لبنان المعاصر بتاريخ فينيقيا في كتاب أصدره عام ١٩١٩ سمّاه "في سبيل لبنان"، جاء فيه أنَ لبنان هو مهد الحضارة في العالم وأنَ الفينيقيين قد انطلقوا من شواطئه إلى جوانب الأرض الأربعة. وكما أنَ أوروبا مُدينة للرومان والإغريق في حضارتها عليها أن تكون مُدينة أيضاً لفينيقيا التي علَمت روما الحرف وأعطت الحضارة لليونان. ربط المجتمع الحديث بأزمة غابرة وعصور

---

[١] (فواز) طرابلسي ، **صلات بلا وصل**، دار رياض الريس ، بيروت ١٩٩٩، ص ٢٦٢

[٢] (ميشال) شيحا، **السياسة الداخلية**، ص ١٧٨

Michel CHIHA, **politique intérieure**, éditions du trident, Beyrouth ١٩٥٧, p ١٧٨

[٣] نصر، م. س.، ص ١٥٤

[٤] (ميشال) شيحا، **لبنان اليوم**، ص ٢٤– ٣٠

Michel CHIHA, **le Liban aujourd'hui**, éditions du trident, Beyrouth ١٩٤٩, p ٢٤ – ٣٠.

[٥] طرابلسي، م. س.، ص ٣٧

قديمة وكأنَ الحاضر هو استمرار للماضي البعيد[1]. كما أن في كتابه "تاريخ لبنان الحضارِيّ"[2] يبذل السودا جهدًا مستَميتًا في سبيل تأكيد المبادئ التالية وإثباتها:

أ. الفينيقيّون هم أجداد اللبنانيّين ولبنان الحاضر هو وارث فينيقيا الوحيد، تاريخيًا وجغرافيا [3].

ب. مقاومة لبنان للفتح العربيّ كانَ بهدف الحفاظ على الحريّات الدينيّة والاستقلال الوعيّ [4] .

ج. التشديد على أساس إمارة فخر الدين الثاني المعنيّ وَدورها في الكيان اللبنانيّ الخاصّ المُستقل داخليًا ضمن الإمبراطورية العُثْمانِيَّة وعلى "الوحدة الوطنيّة" التي رفع فخر الدين منارتها، وكانَت الركيزة التي بنى عليها العقيدة اللبنانيّة بالاستقلال، وفي سبيل هذا الكيان حارب الأمير الكبير الدولة العثمانيّة.[5]

د. حروف الهجاء من صنع اللبنانيّين الأولين، وقد نقلتها سفن صور، وصيدون، وبيبلوس، إلى أقاصي العالم القديم المعروف. ومنها اقتبس العالم أبجديّاته، من الهند إلى منغوليا، إلى بلاد المغول، إلى إسبانيا، إلى بلاد الإغريق، إلى روما. فهي الأم وحروف سائر اللغات أولادها[6].

هـ. قدّم اللبنانيّون لليونانِيّينَ دروسًا في كل من علوم الفلك، والهندسة، والحساب، والملاحة. ومنهم عرف هوميروس معارف الغرب، فاستوحيت الألياذة ثُمَّ الأوديسيه[7].

و. كادت بيروت أنْ تحجب، في العهد الرومانِيّ، بمدرستها الحقّوقيّة، أَنطاكية والإسكندرية....[8]

آمن يوسف السودا دومًا بالقوّة الذّاتِيّة لِلْكيان، القائمة على صهر أقوامه في بوتقة قوميّة واحدة. وبأَنَّ لبنان واجب الوجود بصفته مركز إشعاع في المنطقة. لا يقصد السودا بهذا المبدأ كون هذا البلد أطلع شعراء وخطباء وأدباء وحسب. ففي كلّ البلدان التي تحت الشمس، وُجِد ويوجد أدباء وخطباء وشعراء. وإنَّما يرمي إلى التشديد على الحضارة التي عرفها لبنان خلال تاريخه العريق، وذلك من خلال الإنجازات الثقافِيَّة التي قدّمها اللبنانيّونَ، بدءاً من العهد الفينيقيّ. هذه الإنجازات التي لم تنقطع أو تتوقّف إلاّ خلال العصور العربيّة. ويرى السودا أَنَّ اللغة والتاريخ من أهمّ عناصر القوميّة وفقدان اللغة يُفقد الأمَّة

---

[1] ديب، م. س.، ص ١٠٢

[2] (يوسف) السودا، **تاريخ لبنان الحضارِيّ**، دار النهار ، بيروت ١٩٧٩

[3] (يوسف) السودا، **في سبيل لبنان**، منشورات لحد خاطر، بيروت١٩٨٨، ص ١٦

[4] السودا، م. س.، ص ١٦١

[5] المصدر نفسه، ص ١٨٩

[6] المصدر نفسه، ص ٩٤

[7] المصدر نفسه، ص٦٥ – ٦٨

[8] المصدر نفسه، ص ٥١

بعضًا من خصائصها القوميّة، مثل تراثها الأدبيّ والثقافِيَّ ومزاياها النفسية وأهدافها العليا. لكنّ الأمّة قد تقبل لغة جديدة، ومع ذلك ، لا تفقد خصائصها الأمّوية الأخرى[1].

يتّضح ممّا تقدّم وفي رأي السودا، أَنَّ الصراع الحضارِيّ والثقافِيَّ في لبنان يتَمحور على التراث الحضارِيّ والثقافِيَّ العربيّ العامّ والتراث الحضارِيّ والثقافِيَّ اللبنانيّ المؤثِّر بالمناخ الثقافِيّ الغربيّ العامّ وبالإنسانية الكلّية[2].من هنا قرب الفكر الأوروبيّ من لبنان، هذا الفكر الذي نَهَلَ مِنَ الحَضارَةِ الفينيقِيَّة – اللبنانيّة أكثر من الفكر العربيّ. وهو يعتبر أَنَّ الحفاظ على الاستمرار الحرّ في المكانَ والزّمان ما هو سوى شعور أمّوي تجسّد في الواقع، متحوّلاً إلى مفاعل نضاليّ وكفاحيّ، وهو أحد أهمّ عناصر الأمّوية اللبنانيّة عبر التاريخ، التي استكملت عناصرها بِاكْتِمال وحدتها السياسيّة الحرّة[3].

هذا التأكيد على هويّة لبنان الثقافِيَّة، وعلى الانجازات العلميّة الفينيقيّة، يلتقي فيها السودا مع الشاعر اللبنانيّ شارل قرم. وكتابات هذا الأخير حافلة بما أعطاه لبنان، في عصوره الفينيقيّة والحديثة، إلى الدنيا قاطبة، وإلى العرب أيضا من نور ووهج وخلق. وعبر هذين المفكرين تبنّى الأمّويون اللبنانيّونَ، ومنهم سعيد عقل هذه الأفكار وزاد عليها.

أخذ سعيد عقل عن يوسف السودا وشارل القرم العديد من هذه المبادئ، وعمل عليها وطوّرها أو دعّمها بالحجج والبراهين. فهو يلتقي مع السودا، في تأكيده على ميزة لبنان الحضارِيّة في التاريخ، لكنَّ عقل في مدرسته الأمّوية تجاوز شارل قرم ويوسف السودا مجتَمعَين، في التعمّق بالحضارة الفينيقيّة وإبراز الدور الذي مثّله لبنان، خلال الفترة الفينيقيّة، على صعيد المعرفة والإنجازات العقليّة والعلميّة التي أثَّرت في تاريخ الإنسانية، وكل ذلك كان بفضل اطّلاعه على المكتشفات الأثرِيَّة والكتابات التاريخيّة التي لم تكن قد حصلت بعد في زمن أسلافه، ولكن لم يفته البحث والتكلّم على عظماء آخرين في عهود لاحقة حقّقوا للبنان عظمة وكِبرًا يكادان يوازيان العهد الفينيقيّ.

تعرّف سعيد عقل من خلال علاقاته الإجتماعية الفكريّة أيضًا، بجواد بولس المحامي والمفكّر والسياسيّ، والنائب الذي ورد اسمه مرارا كمرشّح لرئاسة الجمهوريّة، الفرنكوفونيّ النزعة، له عدة كتب في

[1] هارون، م. س.، ص ١٦٥

[2] مبارك، م. س.، ص ١٩٨- ١٩٩

[3] المصدر نفسه، ص ٢٠٠

التاريخ تدور حول مفهوم الأمة اللبنانية وأسسها، والحجج الجغرافية والتاريخيّة والثقافِيَّة والأنتروبولوجِيَّة، الداعمة لها، إضافة الى موسوعته في اللغة الفرنسيّة " شعوب وحضارات الشرق الأدْنى".

جواد بولس استند إِلى الجغرافيا لتحديد التاريخ وتفسيره وصياغته، فهي التي توجّه التاريخ والطبائع الأثْنِيَّة[1]. ويعتبر أَنَّ الوحدة السياسيّة بين لبنان وسوريا، وداخل ما يوصف بسوريا الطبيعِيَّة لم تحدث ولو لمَرّة واحدة طوال الأجيال الماضية[2]. وحَتّى في عهد الفتوحات والسيطرات الأجنبيّة، الشرقيّة أو الغربية، كانَ يتمُّ تقسيم المنطقة إِلى لبنان وغيره[3]. مستندًا بذلك الى المؤرّخ البريطانِيّ آرنولد توينبي حين قال في محاضرة له في الندوة اللبنانيّة: "إنَّ لبنان هو نتاج تضاريسه الطبيعِيَّة"[4].

مفهوم جواد بولس للأمّة مَزيج بين التفسير الألمانيّ للأمّة، المستند إلى التاريخ، والتفسير الفرنسيّ (وعلى رأسه رونان) القائل بإرادة ومصلحة مشتركة في العيش معًا، على أَنْ تكون هذه الإرادة راهنة، تحكمها المصلحة الحاليّة[5]. وهذا ما سيتبنّاه سعيد عقل لاحقًا.

في ختام هذه الفقرة لا ننسى أن سعيد عقل تأثر أيما تأثر بالفكر المسيحي حتى أصبح فيه مرجعا، فأخذ عنه المحبة والفرح والثورة الايجابية. ودرس الإسلام وفقهه وبلاغته في تفاصيله وأمعن في إبحاره، حتى أنه قال يوما إن الإسلام حببه بخمسة:

أ. أن يعرف أن الله ليس رب جماعة من دون سواها وانما هو رب العالمين.

ب. أن يمارس الزكاة فيعطي مما أعطاه إياه الله.

ج. أن يردد كلما فكر بأمه أجمل قول قرئ عنها وهو: " الجنة تحت أقدام الأمهات".

د. أن ينذهل بلبنان كيف أن الحديث الشريف يذكر أن تراب الجنة فيه من لبنان وان عرش الله مصنوع من خشب الأرز الذي هو في لبنان.

هـ. أن لا ننسى كلمة نبي المسلمين: "إثنان ماتا من وفرة ما أحب الواحد منهما الأخر يدخلان رأسا الى الجنة"[6].

---

[1](جواد) بولس، **شعوب وحضارات الشرق اللادنى**، الجزء الأول، ص ١.

(Jawad) BOULOS, **peuples et civilisations du moyen orient**, éditions AWAD, Beyrouth ١٩٨٣, p ١

[2] (جواد) بولس، **لبنان والبلدان المجاورة**، منشورات بدران، بيروت ص ٢٤

[3] (جواد) بولس، **أهمّيّة التاريخ والجغرافيا**، دار الابجدية، جونيه، ١٩٨٠، ص ١٤

[4] (أرنولد) تونبي، لبنان تعبير التاريخ، منشور في **عهد الندوة اللبنانيّة**، منشورات النهار، بيروت ١٩٩٧، ص ٤٣

[5] (جواد) بولس، **الأسس الحقيقية للبنان المعاصر**، مؤسّسة جواد، بولس، دون تاريخ، بيروت ص ٨٠

[6] افتتاحية جريدة لبنان، عدد ٣٧٢، تاريخ ٢٥ آذار ١٩٨٣ – ص ١.

في هذه الأفكار حاولنا تسليط الضوء على شلّة من المفكّرين والمؤرّخين الذين تكلّموا على الأمّة اللبنانيّة، والذين سبقوا سعيد عقل أو جايلوه في الإنتاج. نستطيع القول إنَّ هؤلاء جميعًا تأثَّروا بأفكار القوميّة اللبنانيّة عند يوسف السودا[1]. وكيف أَنَّ هؤلاء المفكّرين تناضحوا معًا لإخراج أفكارهم عن الأمّة اللبنانيّة، فدعم أحدهم الآخر وأعلوا البنيان العقائديّ، وكانَ آخرهم سعيد عقل ما جعله المستفيد الأكبر من هذه الأفكار، فبلورها وزاد عليها من التراكمات الفكريّة التي استفاد منها. لكن هل ظَلَّ سعيد عقل في عالم الفكر أم نزل إلى معترك السياسة والتطبيق العملي؟ هذا ما سنجيب عنه في الفقرة التالية.

٣-دور سعيد عقل السياسيّ

يروي سعيد عقل أَنَّه في أواخر سنة ١٩٣٤، وكانَت الذكرى المئوية الثالثة لمصرع فخر الدين، أرادوا إقامة مهرجان تكريم لأمير لبنان، وكانَ لا بدّ من إذن حكوميّ لإقامة المهرجان، تقدّموا بالطلب فلم يمنحهم عبدّ الله بيهم، رئيس الدائرة المولجة بذلك، الأذْنَ، فاقتصر الاحتفال على لوحة رسمها قيصر الجميّل وقصيدة وطنيّة قوميّة عن فخر الدين نظمها سعيد عقل. تأثَّرَ سعيد عقل بهذه الحادثة فكانَت حافزًا له لدرس التاريخ اللبنانيّ العظيم وإظهاره [2].

شارك سعيد عقل في أحداث بلاده السياسيّة منذ بداية شبابه، فتَمَرّد سنة ١٩٣٥ مع أهالي مدينته زحلة ضدّ ظُلْم حكومة الإنتداب، وقد ألقى خلال تجمّع شعبيّ خطابًا يدعو فيه مواطنيه إلى الكفاح من أجل الاستقلال، ما سيؤدّي إلى اعتقاله في حبس زحلة بضعة أيّام وحُلق شَعره بناءً على أمر السلطات الفرنسيّة. عام ١٩٤٨، نراه مجددا مع ثوّار زحلة في وجه السلطة الحاكمة (كان منذ البداية على علاقة وثيقة مع هموم الطبقات الإجتماعية). سيضعه هذا الموقف السياسيّ في مواجهة مع الحكومة اللبنانيّة وبشكل خاصّ مع رئيس الجمهوريّة آنذاك بشارة الخوري. تصعّدت المواجهة مع رئيس البلاد وحين حصلت تجاوزات في إنْتِخاباتِ زحلة عَلِم بها الرئيس الخوري وحماها، فأخذ عقل يرفض أَن يحضر حفلة يحضرها الخوري أو يرعاها بممثّلٍ عنه، حَتّى انَّه في طرابلسَ أقيمت حفلة تكريم لسيّدة من آل فاضل فرفض سعيد عقل إلقاء كلمته الاّ بعد إزالة صورة رئيس الجمهوريّة، على الرغْم من حضور محافظ الشمال آنذاك وحبيب أبو شهلا النائب والوزير الدستوريّ، والصحافيّين غسّان التويني وسعيد فريحة.[3]

[1] هارون، م. س.، ص ٤

[2] زغيب، م. س.، ص ٢٥

[3] المصدر نفسه، ص ٦٧

انْتُخِبَ عضوًا في مجلس بلديّة زحلة، عام ١٩٦٥، ثم قدّم استقالته ليترشّح إلى الانتخابات النيابيّة الفرعيّة من دون أَن يحالفه الحظّ.[١] بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٦، عند بداية الحرب في لبنان، كان سعيد عقل من مؤسسي "جبهة الحرّيّة والإنسان" إلى جانب أبرز الأحزاب والشخصيّات السياسيّة المنتَمية إلى اليمين المسيحيّ. بعد فترة وجيزة سيترك عقل هذه الجبهة بسبب خلافات مع السياسيّين التقليديّين[٢]. سنة ١٩٧٥ أصدر جريدة أسبوعيّة أسماها "لبنان" من أربع صفحات باللغة العربيّة، ثُمَّ باللغة اللبنانيّة والحرف العربيّ، ثُمَّ باللغة والحرف اللبنانيين (واضع أسسهما ومبادئهما سعيد عقل)، وفيها حاول مع نفر من الأصْدِقاء الترويج لأفكاره وتصوّراته السياسيّة خصوصًا.[٣]

لم ينتَمِ عقل إلى أيّ حزب لبنانيّ، لكنَّه كانَ على علاقة سياسيّة وفكريّة مميّزة بآل إدّه من الأب رئيس الجمهوريّة إميل إلى الابن ريمون. خصوصاً أَنَّ الفريقين (سعيد وريمون) يحملان الأفكار ذاتَها في ما يخصّ لبنانيّة لبنان وفرادته[٤]. بل على العكس أسّس "اتّحاد الطلّاب القوميّين اللبنانيّين" برئاسة رشاد الموسوي، أسّس هذا الاتحاد ليقف في وجه التيّارات اليساريّة والعربية في لبنان. ثُمَّ في سنة ١٩٧٢ حاول تأسيس "حزب التجدّد اللبنانيّ" وكانَ معه عبدو سعد وإتيان صقر وغيرهما، ليصل الى وضع البلاغ رقم ١ لحزب "حرّاس الأرز" لكنَّه لم يحمل بطاقة حزبيّة فكانَ الرعيل الأوّل من المنتسبين يقسمون اليمين أمام سعيد عقل. ثُمَّ أسّس حزب الطليعة التبادعيّة[٥] مع نخبة من المفكّرين الذين استندوا اليه في القول والعمل فلم يفعّلوا العمل والعطاء[٦].

لا يمكن فهم النظريّة السياسيّة عند سعيد عقل، ما لم نعالجها في ضوء ما أحاط بها من أحداث تاريخِيّة وشخصية، فقد جاءت تصوّراته الفكريّة خلاصة لتراكمات كثيرة ولأحداث كبيرة، دفعته في نهاية المطاف إلى صياغة نصوصه وأفكاره في المجال السياسيّ _ الأمّوي. صحيح أَنَّ الرجل اشتهر بموهبة شاعريّة، وبفكرٍ مستنير ووثّاب، الاّ أَنَّ سعيد عقل المفكّر صاغ فكره في قالب شعريّ حينًا وفي نصوص

---

[١] (كلوي) قطّار، **المسار السياسي والفكري عند سعيد عقل، ١٩٣٠-١٩٦٥**، ص ٧٠

[٢] في مقابلة مع الصحافي الأستاذ حبيب يونس، م. س.

[٣] (هند) أديب أورليانَ، لبنان الأسطورة في شعر سعيد عقل، منشور في **المجلة التربوية**، العدد ٤٥، إذار ٢٠١٠، ص ٦٧

[٤] حين توفي ريمون إده عميد حزب الكتلة الوطنية اللبنانية سنة ٢٠٠٠، كانَ من أول المعزين به في مركز الحزب الرئيسي، في شارع باستور/ بيروت وطالب بعدم نقل جثمانه إلى لبنان الاّ بعد خروج المحتلّين الإسرائيلي والسوري من لبنان. راجع "النهار" في ١٢ أيار ٢٠٠٠

[٥] تأسس الحزب في آب ١٩٧٦

[٦] في مقابلة مع الصحافي الاستاذ حبيب يونس، م. س.

فكريّة أحيانًا أُخْرى. صاحِب هذا الفكر مثله مثل غيرهِ من أترابه، يبدع أكثر إبانَّ الأحداث الكبرى وفي متون الصراعات السياسيّة التي تستدعي موقفًا، فيحاول أَن يجد حلاً لوضع سياسيّ _ أمّوي شائك. هكذا إذن كانَ الحال مع سعيد عقل، فقد تفاعلت موهبته المتَمَثلة في قوّة الملاحظة والتحليل والنقد وسبر غور العلوم والتاريخ، مع ظروف عصره وامتزج كلّ هذا ورشحت عنه أعمال فكريّة _ سياسيّة لن يطويها الزمن، لأصالتها ولمواقفها غير المسبوقة من بعض القضايا.

حاول سعيد عقل بأفكاره هذه التي ولدت في مناخ خاص، أَن يؤسس لنظريّة جديدة في الفلسفة السياسيّة، مستعينًا بالمرجعيّات التاريخيّة، حيث يضع الإنسان العاقل المبدع في صلب محور نظريّته قبل أي أساس آخر. وفي حقيقة الأمر إنَّ صدى الايمان العميق بالله وبالإنسان المبدع، سيتردّد كثيرًا على مسامع المطّلع على فكر سعيد عقل وعلى تفصيلاته.

كانَ الرجل مثقلاً بقلقه على أوضاع بلاده ومستقبلها. وكانَ الفكر السائد آنذاك يتناقض مع اقتناعاته السياسيّة، فقد كانَ ضعف الوطنيّة السياسيّة، وضيق الأفق أمّام السياسيّين، وطغيان الفكر العروبي، تقضي كلّها بضرورة الشروع في البحث عن المأمول. على الرغم من أَنَّ ذلك البحث كانَ نوعًا من المخاطرة، وضربًا من ضروب الجرأة، ومغامَرة في قلب الموازين رأسًا على عقب، وإعادة صياغة مدلولات بعض المفاهيم السياسيّة. كلّ هذه الخلفيّات من شأَنها إيضاح جملة من المسائل التي ستتناولها هذه الدراسة، إذ لا يمكن فهم النظريّة السياسيّة عند سعيد عقل من دون الرجوع إلى تلك الخلفيّات التي شكلت السند لفكره ووعيه السياسيّين وهذا ما قمنا بإبرازه آنِفًا.

اِشْتَقى سعيد عقل موقفه من الأمّوية من خلال مصادر عديدة: ثقافته البيتيّة العامّة، وإيمانه المسيحيّ، وثقافته الأجنبيّة (الفرنسيّة) في المدرسة الشرقيّة، وعنفوانه الوطنيّ من مسقط رأسه زحلة، ومن أبيه الذي تغنّى بكرمه وإبائه وكِبريائه[١] . قطع علاقته بالثقافة العربيّة التقليديّة، واستعاض عنها باختيار عدّة لغويّة غنيّة من الكلمات الفصحى يقتبسها من القرآن ومن المعاجم العربيّة[٢].

طرح سعيد عقل نفسه كمعلّم سياسيّ ورجل مستقبليّ[٣]، وانْصَرَفَ إلى كتابة شيء من التاريخ معلنا شغفه بالتاريخ اللبنانيّ وخصوصًا المرحلة الفينيقيّة منه، معلّلاً ذلك بأَنَّ تلك الحقبة هي أعظم حقبة

---

[١] نصر، م. س.، ص ٦٥ – ١٠٠

[٢] خليفة، م. س.، ص ٢٧٤

[٣] نصر، م. س.، ص ١٣٦

مرّت على لبنان. فأقلّ الايمان أَنْ يتباهى المرء بالفترة النضرة والعظيمة من تاريخه وليس بفترة الإنحطاط مثلاً[1]. وهنا يلتقي مع أفكار كل من يوسف السودا وجواد بولس في النظرة إلى الإرث الفينيقي وقيمته.

أدرك سعيد عقل أَنَّ الهويّة وليدة تفاعل الأحداث التاريخيّة والتَّيارات الفكريّة عند شعبٍ معيّن[2]، يؤمن إيمانًا مطلقًا بالعيش المشترك، حيث ينمو بين الناس حسّ مشترك بالرغبة والإرادة في الانتماء الأمّوي لجماعة تتَمَيّز بتراثها وحضارتها وثقافتها من جهة، وبالتطلّعات المشتركة نحو المستقبل من جهة أخرى. فالماضي والحاضر والمستقبل جعلت من الهويّة اللبنانيّة مسار بحث وجدل لدى الرأي العام اللبنانيّ، إنْ من حيث تاريخ نشوء هذه الأمّة أو من حيث أبعادها الحضارِيّة والسياسيّة.[3]

تُمَثِّلُ الهويّة عمق وعي الذات الإجتماعية لمجتَمع ما، فهي تعبّر عن خصوصيّة الجماعة وفرادتها من خلال الممارسات الحياتيّة اليومية والمواقف السياسيّة والإجتماعية. الهويّة هي ما يعطي الجماعة طابعاً خاصًّا بها فيميّزها عن سواها. غالبًا ما يطرح موضوع الهويّة بحدة في الأزمات، كردّ فعل على خطر ما، أو الإحساس بهذا الخطر الآتي من الآخر المغاير، مهما كانَت صفات هذا الآخر. من هذا المنطلق، تدخل الهويّة اللبنانيّة نطاق الصراع الأيديولوجيّ بين عقيدتين، لكلّ منهما نظام فكريّ يقوم على الايمان بحقيقة أساسيّة معيّنة، بحيث تشكّل كلّ منهما نقطة انطلاق الايمان بهوية لبنانيّة لأمّة لبنانيّة أو بهوية عربيّة لأمّة عربيّة.

أدرك سعيد عقل أَنَّ الأمّوية عقيدة تقوم على حقيقة أساسيّة تفترض وجود جماعة من الناس واعية لوحدتها ولروابطها التاريخيّة، الثقافِيَّة اللغويّة، ولعاداتها وتقاليدها ، تعيش ضمن حدود جغرافيّة معيّنة وتتمتّع بحسّ مشترك يربط بين أفرادها عن وعي أو لا وعي (Par atavisme)، كما تنشأ بين أفرادها روابط تاريخيّة ورمزية تتعلّق بأبطالها وأساطيرها وفولكلورها[4].

من هذا المزيج الثقافِيِّ المتَمَيّز بالغنى والعمق، والذي هضمه سعيد عقل وأثراه كلّ يوم بقراءاته في حقول الفكر والمعرفة، خرج بنظريته عن الأمّة اللبنانيّة. هذه النظريّة التي تجد تعبيرها الفكريّ الأكمل في مقدّمة "قدموس"، الطبعة الأولى. ومن ثمَّ في محاضراته في الندوة اللبنانيّة، وكتابيه "غد النخبة" و"الوثيقة التبادعيّة".

---

[1] مقابلة مع الصحافي الاستاذ حبيب يونس، م. س.

[2] (سعيد) عقل، الصياد، ٢١ نيسان ١٩٦٦

[3] مبارك، م. س.، ص ٢٠٦– ٢١٠

[4] مقابلة مع سعيد عقل بتاريخ ١١ ايلول ٢٠١٠

إذا أردنا أَنْ نبحث عن مبادئ المفكّرين القائلين بالأمّة اللبنانيّة، وكما ولدت ابتداءً من عشرينيات القرن العشرين، فهي لا شكّ محفوظة في ذهن سعيد عقل وكتاباته الشعريّة والنثريّة على السواء، ولم تغيّر الزلازل الكبرى في وطنه الصغير المساحة وجهات نظره وأفكاره. قوّة أفكار سعيد عقل وما يؤمن به هي في تفاصيل المحاججة، وإجابته المباشرة عن المجادلات والمماحكات. وهذا ما يميّز سعيد عقل عن غيره. فديناميكيّته تدفع الكثيرين إلى القول إنَّ جذوة الأمّوية اللبنانيّة بمعناها المحافظ وبمنطق الغلاة ما زالت حيّة في بدايات القرن الحادي والعشرين بفضل سعيد عقل. فهو المولود في زحلة عام ١٩١٢، كانَ يُرَدِّدُ وَهُوَ في التسعينيات من عمره: "أعطني ساعة تلفزيونيّة في الأسبوع فأغيّر وجه الكون، وأغيّر الكثير في لبنان وأُصلح ما تهدّم منذ فخر الدين وباقي العظماء"[١]. يريد أَنْ يُصلح لبنان لإعادة صياغته حسب رؤيته، من هنا قوله إنَّه يريد أَنْ يُعملق الشعب اللبنانيّ.[٢]

سعيد عقل المفتون بثالوث الحقّ والخير والجمال، أخذت عنه الأجيال أَنَّ لبنان لا يقاس بالديمغرافيا والجغرافيا بل بالتبادع والجودة والنوعيّة والإشعاع. اعتنق مبدأ "أَنَّ السياسة ليست فنّ الممكن بل هي فنّ المستحيل"[٣]، فما هي مبادئ سعيد عقل القوميّة التي سندرسها من خلال كتاباته ومحاضراته؟ وكيف تطوّر في عرض أفكاره عبر السنين والأحداث التي عصفت في لبنان؟

٤- مصادر دراستنا للأمّوية اللبنانيّة عند سعيد عقل

سعيد عقل الشاعر، هو كاتب ومفكر وباحث في التاريخ اللبنانيّ، ومنظّر في السياسة اللبنانيّة والعالميّة[٤]، وهو واضع أسس الأمّوية اللبنانيّة التي عرفت بـ"الأمّوية اللبنانيّة عند سعيد عقل". فما هي أسس هذه الأمّوية وكيف تطوّرت مع الوقت؟

سوف نستند في دراستنا هذه المبادئ، إلى سبعة مصادر نثريّة لسعيد عقل، ولن نستشهد أو نستند إلى أيّ من آثاره الشعريّة، الاّ بقصيدة واحدة عكست في معانيها وزمان نظمها أهميّة كبيرة وموقفاً سياسيّاً ووطنيّاً بالغ الدلالة. والمصادر هي حسب الترتيب الزمني لظهورها:

[١] ديب، م. س.، ص ٤٤٧

[٢] (سعيد) عقل، لسان الحال، ، ٤ تَمَّوز ١٩٦٤

[٣] (فؤاد) الترك، سعيد عقل شلال من القيم والشيم، المنشور في **المجلة التربوية**، العدد ٤٥، إذار ٢٠١٠، ص ٥٥

[٤] صاحب ورئيس تحرّير جريدة لبنان، التي كانَ له فيها الكثير من المواقف السياسيّة والوطنيّة.

أ. مقدمة كتابه الشعريّ "المأساة" Tragédie "قدموس"، المطبعة الشرقيّة، الطبعة الأولى، ١٩٤٣.
أولى كتاباته النثريّة في الأمّة اللبنانيّة كانَت في مقدمة هذا الكتاب "الّذي يختصر كثيرًا من أفكار سعيد عقل في الأمّة اللبنانيّة المرتكزة على المحبّة والعلم والتراث والانفتاح على العالم"[1]. مِمّا لا شَكَّ فيهِ، أَنَّ هذِهِ الأفْكارَ لم تأتِ بنت ساعتها ومن العدم، بل بعد سنين من التفكير والدرس، أدَّتْ إلى الاقتناع في ما سيتبنى ويكتب ويُبشر به من أفكار أمّوية لبنانيّة. في هذا الكتاب سوف ندرس مقدّمته النثريّة فحسب، وهي التي يصفها فؤاد افرام البستانيّ مع كامل الكتاب بـ "دستور لبنان"[2]. في "قدموس" تستيقظ أمجاد لبنان وتتكون به الملحمة الفينيقيّة والوجود المتوسّطيّ. ويختزل التسامي على صعيد الذات وعلى صعيد الأمّة. فلبنان سعيد عقل هو أحد مراكز النشاط العقليّ الأولى، أحد مراكز المعرفة والحضارة حسب ما جاء في تلك المقدّمة، تمكّن الإنسان فيها من أَن يتغلّب على غرائزه ويحرّر قواه الروحيّة ويتوصّل إلى المحبّة الخالصة، إلى جوهر الجمال في الكائن، إلى معانقة النور المنتصر. إنَّه الفَتح بالحبّ لا بالسيف ورسالة الإنسانيّة بدل رسالة القوميّات.

ب. محاضرة في الندوة اللبنانيّة، القيت في ١ إذار ١٩٥٤، بعنوان: لبنان: معضلات وقوى .ونشرت في كتاب "عهد الندوة" الصادر عن دار النهار، بيروت في سنة ١٩٩٧

ج. كتابه "غد النخبة"، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت ١٩٥٤.

د. محاضرة ألقيت في جامعة الروح القدس، ضمن سلسلة محاضرات، وصدرت في كتاب "أبعاد القوميّة اللبنانيّة" الكسليك، ١٩٧٠، وعنوان المحاضرة: "عظمة الحواضر الفينيقيّة، مرتكز القوميّة اللبنانيّة"، يومها نظّمت جامعة الروح القدس– الكسليك محاضرات فكريّة وكانَ محورها القوميّة اللبنانيّة، وكانَ الموضوع حديث الساعة، خصوصاً أَنَ الأحداث والتطوّرات السياسيّة كانت تصبّ في هذا السياق. فالوجود الفلسطينيّ الآخذ بالسيطرة على لبنان واتّفاقية القاهرة بين لبنان والفلسطينيّين ناهيك بمواقف بعض اللبنانيّين... كلّها أدت إلى دراسات وأبحاث كهذه.

---

[1] نصر، م. س.، ص ٧٢.

[2](أنطوان) كرم، مدخل إلى دراسة الشعر العربي الحديث: عامل الثقافة، منشور في: **كتاب العيد المئوي**، الجامعة الأميركية في بيروت، بيروت١٩٦٧، ص ٢٧٠– ٢٧١

ه. قصيدته في شفيق المعلوف التي أَنشدها سنة ١٩٧٧ ونشرها في كتابه "كما الأعمدة"، منشورات دار نوبلس، بيروت ١٩٩١.

و. منشور "الوثيقة التبادعيّة"، وهي المصدر السادس من إنتاجه، أصدره في آب ١٩٧٦ في اللغة والحرف اللبنانيين. ففي خضّم الحرب على لبنان، أصدر سعيد عقل كُتيّبًا صغيرًا بالحرف الذي اخترعه من ستَّ عشرةَ صفحة (١٢ × ١٧سم) أسماه "وثيقة التبادع": من منتج للاستهلاك إلى فنّان حياته". سوف نعتَمد مرجعًا لنا النسخة العربيّة الصادرة عن دار نوبلس بيروت سنة ١٩٩١، في الطبعة الثانية.
ان أهم تجسيد للالتزام في فكر سعيد عقل يكمن في "التبادعية" ونظامها، الحزب الذي أسسه، وهو يختصر مرحلة الانتقال من النظري الى العملي. وكلمة تبادعية بذاتها هي من اشتقاقه اللغوي.

ز. منشور "هذا لبنان" بالفرنسيّة ECCE LIBANUS[١]، بيروت ١٩٩٦ من أربع صفحات A٤، هو وثيقة باللغة الفرنسيّة، وهنا أيضًا كما في الوثيقة التبادعيّة اعتَمد الجودة في الكتابة على الكثرة، الخلاصة الصافية على المعلّقات والشرح والاستطالة. لقد استند سعيد عقل في وثيقته هذه، إلى خمس وعشرين ركيزة، اعتبرها القاعدة الثقافِيَّة – الفكريّة "للبنان العظمة".

٥– مبادئ القوميّة اللبنانيّة عند سعيد عقل من خلال كتاباته ومحاضراته.

أ– تحديد ماهية لبنان

يرفض سعيد عقل، المعايير السائدة في تعريف الأمم والتي يسمّيها الوحدات الأربع الميكيافيليّة[٢]: الجغرافيّة والعرقيّة واللغويّة والتاريخِيّة. أسقط العامل الجغرافيّ، في تحديد الأمّة إذ يعتبر إنه "على أرض ضيّقة، عاش شعب ليس بضيق العقل"[٣]، ولم يذكر الجغرافيا كمساحة تقاس بالأمتار بل كمساحة إبداع وحضارة وقيادة فكريّة للعالم، وبرّر ذلك لكلّ حاضرة – مدينة لبنانية ذكرها من ضمن المجال الأمّوي

[١] (سعيد) عقل، "**هذا لبنان**"، بيروت ١٩٩٧ – ١٩٩٧ Said AKL, ECCE LIBANUS, Beyrouth

[٢] (سعيد) عقل، **قدموس**، ص ١٣

[٣] (سعيد) عقل، عظمة الحواضر الفينيقية، مرتكز القومية اللبنانية، منشور في **أبعاد القوميّة اللبنانيّة**، منشورات جامعة الروح القدس، الكسليك– لبنان، ١٩٧٠، ص ٦٢

اللبناني، ووضع لها معايير جديدة: العقل والإبداع والمحبّة. هذه الكثافة الحضارية الإبداعية يعرضها سعيد عقل عبر أسئلة:

١. لماذا قال اليونان إنَّ ألهة الحبّ "أولمب" أحبّت على جبل لبنان وليس في اليونان؟
٢. لماذا نُسب إلى لبنان خمسة من جهابذة العقل في العالم: قدموس (الأبجديّة)، موخوس (الذرّة)، طاليس، بيتاغور وإقليدس؟
٣. لماذا على أرض لبنان وجدت أكبر حجارة بنيان؟
٤. لماذا أخذت القارة الأوروبيّة اسم أميرة من لبنان؟
٥. لماذا اكتشاف أميركا كان من قبل الفينيقيّين، أسياد علم الملاحة والمغامرة؟
٦. لماذا لامارتين قال بأَنَّ في لبنان شعباً وفي مصر حاكمً؟ أي في لبنان ديمقراطيّة وفي مصر تسلّط؟ ويردّ سعيد عقل ذلك ليس إلى اسباب تاريخِيّة أو جغرافيّة أو ظرفيّة بل إلى فعل إرادة.[1]

ذكر هذه الأسئلة ليغمز من قناة بقية الدول من اليونان حتى سوريا ومصر: قيل في لبنان ما لم يُقل فيكم، إذًا هو أهمّ منكم ومتَمَّيز عنكم. وهنا بيت القصيد، فلبنان لم يكن ولن يكون تابعًا لأيّ منكم.

لم يبحث في الجغرافيا والبيئة والتضاريس والموارد الماديّة. بحث فقط في التاريخ المتَميّز والموارد البشريّة. تصغر المساحة أو تكبر (حسب التاريخ والحقبات) المهمّ عنده أَن تكون منتجة نحو الأحسن وليس نحو الحرب. ما من جغرافيا لا تملك تاريخًا، المهمّ أن يكون تاريخًا متميّزًا وقد زاد شيئًا على البشرية العالميّة، منتجاً وزاد مجدًا على الكون. والإنسان لا يقاس بالعدد بل بتفاعله مع اثنين: الله والعقل، في جو من الحرّيّة المسؤولة. من هنا لم يتفاخر يومًا بعدد سكّان لبنان بل بحفنة من مبدعيه هزّوا الدنيا.

ويدعو للذهاب إلى النبع الذي أُخذت منه هذه النظريّات وإعلان العنصر الحقيقيّ للأمّة: فما يصنع أمّة هو الفعل، والكدّ عبر الأجيال، كدّ يرفع شَعْبًا من مستوى المادّة الصماء إلى مستوى المعرفة والبدع[2]. بهذا المعنى، لا أُمَّةَ في العالم تضاهي لبنان. ويعلن أَنَّ "لبنان وطن للحقيقة"[3]، لأَنَّه أضاء اثنتين من ركائز الوجود الثلاث (الله والمادّة) بفضل وعي العقل (الركيزة الثالثة)، لأَنَّ الايمان ينوّر أكثر عندما يتنوّر العقل أكثر. وكأنه يقول: حتى اللاهوت والايمان هما عملية إيمانية كلاهما بحاجة إلى العقل

---

[1] عقل، عظمة الحواضر الفينيقية، مرتكز القومية اللبنانية، م. س.، ص ٦٢
[2] عقل، **قدموس**، م. س. ص ١٣
[3] المصدر نفسه ، ص ١١

وهنا يحاكي لاهوت القديس توما الأكويني. وعنده أَنَّ الأمّة اللبنانيّة هي حصيلة مألفة بين الله والأرض[1]. ومن هنا التراث الحضارِيّ اللبنانيّ يتميّز بتراكمات في خدمة الإنسانيّة على مدى ستّة آلاف سنة[2].

حدّد سعيد عقل لبنان بمفهوم لاهوتيّ – فلسفيّ، فمع سعيد عقل، تأخذ الأمّوية اللبنانيّة بُعدًا آخر. فهو يحرّرها من أَنْ تبقى رهينة المعايير القوميّة الرائجة ضمن منهج العلوم السياسيّة، التي وعلى أهمّيتها تُبقي الصراع الدائر حول لبنان، وغيره من الدول والأمم، في إطار القبول أو الرفض لمقولة أو لحقيقة اجْتِماعِيَّة. أي أنَّه لم يتكلّم على لبنان ككيانٍ طبيعيّ قادر على الحياة والاستمرار في معترك التاريخ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فأخرج النقاش من مستواه الاجتماعي – السياسي إلى مستواه اللاهوتيّ – الفلسفيّ. إذًا، الخصوصيّة اللبنانيّة عند سعيد عقل هي مقولة لاهوتيّة، هذا يعني نقل لبنان من قضيّة اجتَماعية – سياسيّة إلى قضيّة غائيّة فلسفيّة من خلال الميتافيزيك[3]. لم يذكر أن لبنان هو همزة الوصل بين الشرق والغرب أو سويسرا الشرق، إلى ما هنالك من عبارات رنانة لا فحوى لها، بل حدده برسالته الا وهي الحقيقة.

ولئن أخذ البعض على سعيد عقل أنه في كتاباته (في مقدّمة مأساة "قدموس" مثلا)، كان رجل حلم وميثولوجيا وطوباويّة، فالمؤكد أَنَّه جنّد كل طاقاته الإبداعية في الفن والفلسفة واللاهوت وغيره في خدمة لبنان وإبراز الذّاتِية اللبنانية. وأبرز همومه في ذلك التغلب على هاجس المساحة والإتساع، فسعى الى التمرد على مفهوم الجغرافيا. فهو اعتبر أَنَّ من قال: لبنان بلد صغير يعني إغفال حقيقة تختصر المؤلّفات وسرّ التقدّم وهي: انَّ الله ليس كمّيّة، إنَّه جودة. وهكذا شأَن لبنان. وكم من مَرّة أعطى مثلاً نظرية أَنشتاين، الذي حين وضع نظريّته العلميّة عن النسبيّة كانَت أطروحته مؤلّفة من القليل من الصفحات وكثافة كبيرة من المعلومات والإبداع، حيث غيّر فيها وجه العلم والمعرفة[4].

إذاً سعيد عقل أوجد رسالة للبنان، فلولاها لا معنى لوجوده. لبنان مرتبط برسالته المعطاءة العالمية وليس بوجوده غير المعطاء والبقاء الجامد غير المنتج حتى لو كان تاريخه مديداً في الزمن. فهو مع حياة لبنان المستمرة وليس مع موته السريري في انتظار عهد جديد ووثبة جديدة. لبنان المنارة الدائمة هو دائم أبديّ العطاء. لبنان الكريم وليس الطفيّلي العائش على هامش الحضارة والعلم والإنسانية.

---

[1] عقل، **قدموس**، م. س.، ص ١٢

[2] عكس الكثير من الفلاسفة والمفكرين لا يرى عقل تناقضاً بين الإيمان والعقل بل تكامل وتفاعل. فالإيمان والعقل لا يقف أحدهما عند حدود الآخر بل يتناضحان ويتكاملان في عملية رقيّ الأنسان وبالتالي المجتمع. مقابلة في ١١ ايلول ٢٠١٠

[3] عقل، **قدموس**، م. س.، ص ١٢

[4] مقابلة مع سعيد عقل م. س.

في فكر سعيد عقل يستحيل الفصل بين اللاهوت ولبنان. وما يعنينا من علم اللاهوت بالنسبة إلى سعيد عقل، وإلى موضوعنا بالذات، هو عمليّة الربط الفكريّة التي صاغها المفكّر بين وجود الله وصفاته ككائن أسمى من جِهة، ومن جهَةٍ أُخْرى وجود لبنان وصفات أبنائه ككائنات تجسّد جغرافيّا وتاريخيًّا صفات الله الثلاث ، وهي: القدرة (إرادة التوغّل في ماهيّة المادّة) والمعرفة (اكتناه العقل) والمحبّة (الله).

من هنا يعتبر سعيد عقل لبنان مرافقاً لوجود تجسيد الوعي البشري، "راح يكون منذ ما كانَ العقل يَعقل"[1]. فهو لا يحدّد لبنان بالمعايير القوميّة التقليديّة، بل بإنتاج العقل، لذلك يمكن للبنانه أَنْ يتّسع ويضيق حسب حدود العقل والإبداع. لم يبحث عن الكثرة بل عن الرسالة النوعية في العالم أجمع.
لكن مع ذلك حدّد موقع لبنان الجغرافيّ بشكل عامّ وهو "الساحل الشرقيّ من المتوسط، ضمن إطار مفتوح لا هو تخوم إقليميّة (الجغرافيا)، ولا نسب عرقيّ ولا نطقيّ (اللغة)، ولا وحدة أيّ تاريخ كانَ، إنَّما هو عجيج كدّ في السير صعداً من غباوة المادّة إلى وعي العقل"[2]. إذًا، يعترف سعيد عقل بأَنْ لا سياق تاريخيًّا موحّدًا لتاريخ لبنان، أو أقلّه لن يتوقّف عند هذا التاريخ السرديّ الكلاسيكيّ، إذ إنه لا يعنيه كسند لأفكاره وللبنانه. كلّ ما يعنيه في تحديد لبنان التاريخيّ: هو وعي العقل لعمله، للإنتاج والسير صعودًا في الإبداع. لذلك أرّخ للعباقرة والأفكار الكبرى المبدعة وليس للأحداث اليوميّة الروتينيّة[3]، فهو يقول في مقدّمة "قدموس": إذا كانَ لبنان قد استُفرد مرّات، واستُضعف واعتُدي عليه مرارًا، بل واستُهدف في كيانه من الطامعين، فقد انْهارَ مستضعفوه جميعهم على صخرة صموده... بقي هو وزالوا جميعًا...[4]

لبنانه العظيم، كما يراه، كانَ من قبل أَن تكون دولة لبنان الكبير، منذ قيام أوّل مملكة في صيدون (ربما اعتبرها كمدينة – تَمثّل كلّ لبنان) وإبحار أوّل أسطول من جبيل، وانعقاد أوّل مجلس حكم في صور... فمنذ أن خُلق لبنان كانَ لبنان العظيم.
لم يذكر مناخًا بيئيًّا طبيعيًا معيّنًا ساهم في تكوين هذه الأمّة بل استشهد بمناخ إبداعيّ فكريّ مميّز. لم يستشهد بعرق معين مميز عن غيره من الأعراق، بل استند إلى العطاءات الفكريّة من أيّ جهة أتت. فهو

---

[1] عقل، **قدموس**، م. س.، ص ١٢

[2] المصدر نفسه، ص ١٣

[3] المصدر نفسه، ص ١١

[4] المصدر نفسه، ص ١٣– ١٤

يعلم أَنَّ لبنان يحتوي أعراقًا متعدّدة لكنّ انصهارها وتناضحها (لاحقًا سيستعمل كلمة تبادع) كفيل بخلق أُمّة لبنانيّة[1].

لم يذكر عرقاً أو طائفة معينة في تحديده لشعب لبنان، بل شعب لبنان كل الشعب يمتهن الصعاب ويتطلّع إلى الفكر[2]، أي لا الحروب ولا الإحتلالات لشعوب الآخَرين وأراضيهم، بل يسعى إلى الإشعاع من خلال الفكر والإبداع فيه. من دون شك، كانَ أمام ناظريه مثل الفينيقيّ البحّار التاجر الذي جاب المعمورة من دون أَنْ يحتلّها، وأقام مع شعوبها صلات وعلاقات تجاريّة تبادليّة وحضاريّة من دون أن يستعبدها أو يستغلّها. بعد ذلك بسنين، ذكر في محاضرة له في جامعة "سيدة اللويزة" سنة ١٩٩٦، إنَّ القول بأن الوقت هو مال" ليردّ هو فيقول "الوقت هو إبداع". "Time is money? No time is creation".[3] لقد كانَ هاجسه تفعيل الوقت وتخصيبه لكي لا يذهب سدىً وهدراً.

انشغل سعيد عقل بالترقّي والصعود إلى العلى وأحبّ الخطّ العموديّ على الخطّ الأفقيّ. فهو ينسب إلى لبنان اختراع الحراثة وبدايات البناء، وهذا ما أدّى إلى تكوّن المدينة فالمجتَمع فالحضارة. وكانَ التجريد مع الجمال فولدت الأبجديّة، وكانَت الوحدانيّة (حسب ما جاء في ملحمة أوغاريت) فتجسّدت في عبادة الله حتى قبل القدس والديانة اليهوديّة[4]. كما ذكّر بفضل لبنان على أوروبا خالق هذه القارّة التي يعتبرها كالكثير من أبناء عصره قارة العقل والبدِع[5]، فعدد الهبات الستّ التي منحها لبنان لها وهي:

- الإيمان بما وراء المادّة.
- الأبجدية.
- الذرّة التي تتجزأ.
- نظام الحكم العقلي– ديمقراطيّ، ويذكر بضرورة أَنْ يعود نظام الحكم في لبنان كما على أيّام صيدا وصور الفينيقيّة: نظام عقل– ديمقراطياً (مجلس عقول ومجلس منتخب من الشعب). وكانَ الحاكم إذا ما أخذ بثقة المجلسين يحكم، أمّا إذا أخذ ثقة مجلس واحد، يذهب إلى بيته ولا يحكم، وإذا نزع الثقة عنه المجلسان يُعدم فوراً.
- فلسفة الرواقيّة.
- جيومترية اقليدوس ابن صور.
- القانون الخلقيّ المعروف بقانون: "الفضائل الفينيقيّة التسعون".

[1] مقابلة مع سعيد عقل م. س.

[2] عقل، **قدموس** ، ص ١٣

[3] مقابلة مع سعيد عقل م. س.

[4] عقل، **قدموس**، ص ١٤

[5] مقابلة مع سعيد عقل م. س.

وضعها سعيد عقل ليقول إنها دستور حياة الإنسان اللبنانيّ أو هكذا يجب أَنْ يكون، وكأنَّه يقول بأَنَّ اللبنانيّ سليل آلهة. أو لحضّه على أَنْ يكون هكذا. بمعنى آخر رسم له خريطة طريق للحياة والسموّ والبدع.[١]

كل هذه الأمجاد ليست بحروب ولا استعماراً ولا استعباداً بل فتح في العقل نحو العلى وتقدم البشرية جمعاء، والسير قدما في رفعة الإنسان نحو خالقه. حتى أنه حدد إقامة علاقات لبنان بدولة أخرى حسب مستوى حضارة الدولة الأخرى: إبداع، احترام كرامة الإنسان، ومدى مساهمتها في إقامة عالم واحد[٢]. وضع لنفسه وللبنان ضوابط صارمة أساساتها ترقي الإنسان. لا بل اشترط على لبنان وشعبه رفع العالم إلى مستوى تقدم لبنان، فهو "معلّم معلمي العالم"[٣] والتقدّم الذي يحصل عليه لبنان، في رأيه، يجب أَنْ تحصل عليه الدول الأخرى وخصوصًا دول الشرق الأوسط.

لم يكتفِ سعيد عقل بالتغني بأمجاد لبنان السالف ومبدعيه، بل سعى دائما إلى التَمَثُّل بهم وتثقيف نفسه. أحب شهرتهم وعطاءاتهم الكونية وعمل على الإضافة إليها من خلال شِعره وأفكاره الفلسفية والأمّوية ودراساته ومحاضراته. سعيد عقل أخذ وزاد. عظّم نفسه ووضع نتاجه جنب المبدعين اللبنانيين الكبار من خلال إبداعه ومنافسة ذاته لذاته.

هذا الهيام بفلسفة ماهية لبنان وحدوده دفعته إلى التأكيد على وحدة لبنان كل لبنان أرضا وشعبا. ففي قصيدة ألقاها سعيد عقل في مهرجان رثاء الشاعر الزّحلاويّ، شفيق المعلوف بمناسبة وفاته سنة ١٩٧٧ في عزّ الحرب على لبنان، يؤكّد على وحدة لبنان ويرفض تشرذمه، وإذا ما انتصر أيّ لبنانيّ على دخيل فإنَّ كلّ لبنان منتصر. وبالتالي إذا ما انكسر أيّ لبنانيّ فكلّ لبنان منكسر، ويتابع بأَنَّ مجد لبنان واحد، فأي مجد لأيّ لبنانيّ هو لكلّ لبنان، ألم يفتخر سعيد عقل بمجد المدن الفينيقيّة في غابر العصور ويحوّلها مجدًا للبنانيّي اليوم؟ ويتابع بأَنَّ مجد لبنان واحد غير مقسّم ولا مجزّأ، من جبيل وبيروت وصيدون وطرابلس وقانا وصور وبعلبكّ. واللافت، أَنَّه كالعادة لم يذكر الطوائف أو الزعماء بل ذكر المدن اللبنانيّة كرمز وممثّل للأمّة اللبنانيّة. ويتابع عقل بأَنَّه يرفض التقسيم ويعتبر أي انتصار في هذا المجال سُدًى، والموت إهداراً من دون معنى. فالموت يكون عن كلّ لبنان أو لا يكون: الساحل والجبل كما الشمال والجنوب.

---

[١](سعيد) عقل، "**هذا لبنان**"، بيروت ١٩٩٧ – ١٩٩٧ Said AKL, ECCE LIBANUS, Beyrouth

[٢] المصدرر نفسه

[٣] (سعيد) عقل، **لبنان إن حكى**، منشورات منشورات جامعة سيدة اللويزة،الطبعة الثالثة، ذوق مصبح ٢٠١٣

في تلك القصيدة يقول سعيد عقل إنَّ أعظم من لبنان، هو شعب لبنان "كعينيَّ أغلى منهما البصر"[١]. وهذا ما سيركّز عليه لاحقًا في الكثير من محاضراته: الإنسان وإنتاجه يعطيان القيمة للأرض، والتاريخ صنيعته. ليركّز بعد ذلك على أَنَّ حربه ضدّ الدخيل وليست ضدّ اللبنانيّ، "فما همَّ من خطرٍ إلى خطرٍ يمضي الشعب اللبنانيّ ما هَمّ فهو خُلق وبيته الخطر "[٢] وبهذه الجملة الأخيرة كأنّي بسعيد عقل يختصر كلّ رؤيته إلى الإنسان في شكل عامّ واللبنانيّ في شكل خاصّ، وإلى التاريخ والحاضر والمستقبل اللبنانيّ. هو لا يعرف سوى العمل والكدّ والتأهّب الدائم وجبه الأخطار: قديمًا كانَ الخطر في ركب عباب البحر وكان أيضًا من المحتلّ الذي زال ولم يزل لبنان، واليوم من الدخيل (وكان يومئذٍ الفلسطيني). في عزّ الحرب في لبنان ودعوات التقسيم والفيدراليّة والضمّ إلى سوريا الكبرى، جاء سعيد عقل في كلمته ليعلن وحدة لبنان شعبًا ومن ثَمَّ أرضًا، حيث يعتبر الشعب أهمّ من الأرض. ليعلن ترابط اللبنانيّينَ بعضهم مع بعض في السرّاء (الانتصار) والضرّاء (الانكسار). كانَ موقفًا متقدّمًا في زمن تعطّلت فيه لغة المنطق والعقل وطغت لغة الموت والتقسيم. وقف سعيد عقل ليؤكّد على نهائيّة الكيان اللبنانيّ ووحدة أرضه وشعبه وحبّه لشعبه كلّ شعبه من دون تقسيم أو تفريق أو طبقيّة[٣]. مَرّة ثانية لم يَجِد سعيد عقل عن خطّه البيانيّ حتى في عزّ الحرب والتشرذم والقتل. كأنّه ينظر إلى ما بعد الحرب رافضًا مقولاتها وتنظيراتها، ليؤكّد على وحدانيّة لبنان الشعب والأرض والتاريخ والرؤيا المستقبلية. لكن ما هي هذه العطاءات العظيمة التي يتغنى بها سعيد عقل؟ هذا ما سنراه في الفقرة التالية.

ب-تأريخ الأمّة اللبنانية او دعم الأمّوية اللبنانية بالمستندات التاريخية.

النظر الى الهويّة من منظور تاريخي يأخذنا إلى أنها وعي بالذات متطوّر متجدد، لا وعي ثابت غير متحرك. بل إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الإطار هو التالي: كيف تطور لدينا "الوعي بالذات" عبر التاريخ، نحن سكان هذه الرقعة من الأرض؟ وكيف تمت إقامة علاقات جدلية تاريخية بين ذواتنا والمعطيات الخارجية؟

الأمة اللبنانية لها تاريخ مديد يمتد إلى آلاف السنين. لكن الوعي بالهويّة في وقت من الأوقات، لا يمتد بالضرورة عبر هذه الآلاف من السنين جميعها، ولا على المستوى الفردي ولا على المستوى

[١] (سعيد) عقل، **كما الأعمدة**، دار نوبلس، بيروت ١٩٩١، ص ١٧١

[٢] المصدر نفسه، ص ١٧١

[٣] وهنا يلتقي سعيد عقل مع فكر وتصرف عميد حزب الكتلة الوطنية ريمون إده في رفضه للتقسيم وللطائفية والتزلّم عند الغير.

الجماعي، بل هو وعي يتحرك داخل التاريخ الذي ما زال حيًا في النفوس، أو صار كذلك بعد طول غياب: يفعل فيها فعله، تستنجد به وتستلهمه كلما كان هناك شعور بالحاجة إلى ذلك.[1]

في الفقرة السابقة ذكرنا أن سعيد عقل حدد لبنان بمفهوم فلسفي لاهوتي، لكن ذلك لم يمنعه من اتّباع منطق التأريخ المادي السردي، مقارعًا المشككين كافة سواء أكانوا من الفلاسفة أم من رجال العلم والتأريخ. ففي محاضرته في الندوة اللبنانية أسهب في تعداد تأريخ "الروح اللبنانيّة" وقسّمه إلى أربع حقب: الأولى: "عهد الكشف وتَمدين العالم "، الثانية: " عهد التضحيّة بالعيش من أجل حرّيّة الضمير والفكر"، الثالثة: "عهد طلب الانضباط مجدّدًا مع إيقاع التقدّم العالميّ" والحقبة الرابعة: "عهد اندفاعنا في استيراد المدنيّة الحديثة من دون أَنْ نكون قد ساهمنا بعد في المدنيّة الحديثة"[2]، فيطالب بأَنْ يكون لبنان بلد إنتاج علميّ صناعيّ وأيضاً فكريّ وادبيّ. اللافت أَنَّ سعيد عقل يذكر "الروح اللبنانيّة" وليس القوميّة أو الأمّة اللبنانيّة، فهو في الطور الأوّل من التسمية أو من بلورة المبادئ الأمّوية اللبنانيّة عنده. صحيح أَنَّه يتكلّم في سرده الحقب الأربع على التاريخ اللبنانيّ وعلى فخر الدين وعلى العلم والإبداع لكنَّه لم يصل بعد إلى البناء الكامل للأمة اللبنانيّة ابتداءً من تسميتها وصولاً إلى بلورتها. ليختم بالقول في تلك المحاضرة: "إنَّ مشكلة مشاكلِ لبنان الحاليّة هي عدم الطموح". وهذا ما يعيدنا إلى النبع.

سعيد عقل لا يرى لبنان سوى كدّ وعمل وإنتاج وإبداع. لم يرغب فيه أمّة كسائر الأمم تكتفي بالوجود الكمّيّ، بل يطلب الجودويّ للبنان الشريك في الحضارة وفي العطاء، ومنارة من منارات الفكر والعلم في العالم وعلى الدوام وليس في حقبة معيّنة. فميزة الحقبة الأولى ليست في الأرجوان مثلاً بل في إدراك الألوهة ووعي سلطان العقل، وميزة فخر الدين ليست في وجوده وحكمه الأفقيّ السطحيّ بل في ماهيّة وجوده الحرّ والمستقلّ عن السلطنة العثمانيّة، وميزة الحقبة الثالثة ليست في التواصل مع الغرب في شكل استزلاميّ دمويّ بل في التفاعل العلميّ الحضارِيّ مع الغرب والإنتاج الفكريّ الذي حصل في تلك الحقّبة، وميزة الحقبة الرابعة أَنَّنا نسعى للانتقال من العيش إلى الحياة. فبدل أن نعيش يجب أنْ نحيا. وهنا صلب الموضوع: تغليب الجودة على الكميّة.

---

[1] (محمد) الجابري، **الهوية... العولمة... المصالح القومية.** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١١، ص ١٤

[2] (سعيد) عقل، لبنان، معضلات وقوى، منشور في **عهد "الندوة اللبنانيّة" خمسون سنة من المحاضرة**، دار النهار ، بيروت ١٩٩٧، ص ٢٦٨

في سرده هذا، ما زال سعيد عقل يبحث عن دور للبنان يسجّل تقدمًا للبشريّة وتَمايزًا له، ولا يبحث عن وجود جامد مُستفيد وليس بمفيد. فهذه الجودة لا تقتصر على طبقة معينة بل تشمل كل اللبنانيين، وهذا ما سنراه لاحقا.

بين سنة ١٩٤٤ (سنة نشر كتابه "قدموس") وسنة ١٩٧٠ (سنة محاضرته في جامعة الروح القدس) ستّة وعشرون سنة، كانَت كافية لإنضاج مبادئ الأمّوية اللبنانيّة وأساساتها وركائزها في فكر سعيد عقل، ليحدّد في شكل مباشر وموضوعيّ وعلميّ أكاديمي ركائز الأمة اللبنانيّة حسب منظاره. نراه يقترب أكثر من المنطق العلميّ السياسيّ البحت، يقدم الحجج والبراهين من دون أنْ يحيد عن خطّه البيانيّ الصاعد.

راح سعيد عقل يسرد عظمة كلّ من المدن الفينيقيّة، فأوغاريت وجبيل وصيدا وطرابلس وصور وبعلبكّ وبيروت وقانا، ساهمت في تغيير وجه الكون نحو الأحسن، واضعًا بين حَنايا كلّ مدينة قيمة حضاريّة جلّى. وسوف نسرد عظمات هذه المدن:

أوغاريت حافظت على الشعر الفينيقيّ، الذي يُذكر فيه إله المحبّة إيل، فيعرض لصفات هذا الإله وكأنَّه إله المسيحيّة من محبّة وتسامح ... حتى ليسأل إذا كانَ يسوع ابن إله موسى أم الإله إيل؟[1]. إذًا، في أوغاريت الواقعة اليوم ضمن سوريا، تمَّ الحفاظ على فكر ماورائيّ إلهيّ، وعن تطوّر النظرة إلى الإله وعلاقته بالبشر. لم يتنكّر لعطاءات أوغاريت في الحقبة الفينيقيّة وكأنّي به يقول إنَّ لبنان هو الحافظ لعطاءات المدن الفينيقيّة سواء أكانَت اليوم ضمن لبنان الدولة أم لم تكن، فلقد كانَت في غابر الأيّام ضمن لبنان الإبداع الفكريّ كما الحضارِيّ والصناعيّ[2].

جبيل مصدّرة كتابة الألفباء في العالم، والتي سبقت كتابات العالم كافّة في الانتقال من التعبير التصويريّ إلى التعبير المجرَّد "Abstrait" المُرمّز. وبالتالي الانتقال من التصوير إلى الفكر، وسرعان ما يقارن بين الله واختراع الأبجديّة الفينيقيّة فيقول:" الله مش كثرة، الله جودة" ليتابع ويقول إنَّ "العقل الفينيقيّ هو كالله جودة ومرونة"[3]. في معرض ذكره لجبيل كان دوماً يستشهد باثنين من مفكّري أوروبا هما هنري

---

[1](سعيد) عقل، عظمة الحواضر الفينيقية، مرتكز القومية اللبنانية، م. س. ص ٦٤

[2] المصدر نفسه، ص ٦٤

[3] المصدر نفسه، ص ٦٦

دونان وأرثر كلارك، مستندًا إليهما في تحليلاته وفي استنتاجاته، ليؤكد أن العلم يقول ذلك وليس شوفينيته اللبنانية[١].

صيدا أخذ عنها ثلاثة: الحدس بالذرّة، الفتح بالسلام الذي أكمَلته بعدها مدينة صور اللبنانيّة، وافتداء كرامة الحياة بالحياة[٢]. كما نسب في مكان لاحق فكرة العدد – الجوهر إليها[٣]، ففي صيدا قال مخوس بتجزئة الذرّة التي كانت بعد الآف السنين أساس علم الذرة. وفي صيدا أيضا انطلقت فكرة فتح البحر الأبيض المتوسّط بالسلام والتعامل مع شعوبه بالحُسنى، فساعدت في الإعمار وتثقيف الشعوب وتبادل السلع وجني الأرباح، كلّ ذلك ولم يستعمل أهل صيدا السلاح ولا اعتَمدوا الحرب في علاقاتهم[٤] بل الاحترام والحبّ ... واليوم تعود منظّمة الأمم المتّحدة إلى الإرث الصيداويّ للمطالبة بالمشاركة في الخيرات الكونيّة مع المحافظة على كرامة الشعوب ورفاهيّتها[٥]. وثالث ميزة لصيدا هي افتداء كرامة الحياة بالحياة، فالموت الجماعيّ الذي مارسه الصيداويّون فترة احتلال أرتحشتا الثالث لم يكن انتحارًا بل افتداء للحياة وكرامتها حسب القول المأثور:"لمّن بتنجبر تخسر حياتك لا تخسر أيضًا موتك"[٦]، فإذا لم تستطع الحفاظ على حياتك فافدها بتقرير مصير حياتك بموتك.

صور أعطت ثلاثة مبادئ عظمى غيّرت وجه العالم: تأسيس إمبراطوريّة الكلمة الصادقة، رفض اليأس وخلق لغة الشكل. فافتتاح البحر الأبيض المتوسّط كانَ بالكلمة وليس بالسيف ولا بالعسكر والقتل والدمار. كان يُضرب المثل بالكلمة الصادقة الحرّة الصوريّة، فالصوريّ كانَ صادقًا لا يعرف الكذب ولا مراوغة في علاقاته التجاريّة. وعدم اليأس حين أحرقت صور نفسها كي لا تستسلم للإسكندر. وثالث عظمة كانَت مع أوكليد أبي الهندسة (géométrie) ومنطق العقل[٧].
ولا ننسى أن فكرة الحكم النوسو – الديمقراطيّة أبصرت النور في صيدا وصور كنظام يوازن بين تحكيم العقل (النوسو) وإرادة الشعب (الديموس)[٨].

---

[١] عقل ، "هذا لبنان"، بيروت ١٩٩٧ ،م، س.

[٢] عقل، عظمة الحواضر الفينيقية، م. س. ص ٦٧

[٣](سعيد) عقل، "هذا لبنان"، بيروت ١٩٩٧ ، م، س.

[٤] عقل، عظمة الحواضر الفينيقية، مرتكز القومية اللبنانية، م. س. ص ٦٨

[٥] أصدرت اللامم المتحدة تقريراً يتحدث عن هذا الموضوع، بعنوان: **جيرانَ في عالم واحد**، منشورات عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٥

[٦] عقل، عظمة الحواضر الفينيقية، مرتكز القومية اللبنانية، م. س. ص ٦٩

[٧]أنظر أيضا: عقل، **"هذا لبنان"**، م، س. ص ١

[٨] المصدر نفسه، ص ٢

طرابلس: ومعنى اسمها المدن الثلاث، وكان فيها أول برلمان أو اتّحاد مدن في التاريخ، وذلك قبل منظّمة الأمم المتّحدة الحاليّة بآلاف السنين[1].

بعلبكّ وميزتها بتجاوز قدرة البشرية في تحفة فنّيّة لا مثيل لها في العالم، بعلبكّ الجمال في هندسة ولا أروع وفي نحت ولا أصعب.

بيروت أم الشريعة، التي أعطت جَلال المعرفة مع سنخون أتن أبي التاريخ في العالم، وأعطت نضج الحقّ مع مدرسة بيروت للحقوق.

قانا حيث غيّر الانسان في أحكام الله، إذ يعتبر قانا لبنان هي ذاتها الواردة في الإنجيل حيث دفع المخلوق (مريم العذراء) الخالق (يسوع المسيح) الى اجتراح أولى العجائب. ففي قانا لبنان غيّر الإنسان تخطيط الله.[2]

كلّ مآثر هذه المدن سماها عطاءات جُلّى، أثّرت في البشرية وأعطتها أفكارًا ومبادئ وعلومًا ما زالت مهمّة وسبّاقة لغاية عصرنا. في تلك المحاضرة في جامعة الروح القدس، لم يحد سعيد عقل عن خطه البيانيّ في رسم مبادئ قوميّته فحاضر عن النوعيّة المتمثّلة في عظمة المدن الفينيقيّة وليس عن المساحة الجغرافيّة. تحدّث عن الحياة وشؤون العقل العليا وليس عن العيش وعدّ الأيّام، تحدّث عن الإبداع الفينيقيّ وتأثيره في البشرية حتّى أيّامنا. تحدّث عن التاريخ المبدع والحافر في العمق الحضارِيّ وليس في التاريخ المديد الفارغ من الفعل والعطاء. لم ينسَ سعيد عقل الاستشهاد بالعديد من الكتّاب والمفكّرين العالميّين منهم بيار هوباك (Pierre HUBAC) وأرثر كلارك (Arthur CLARK) وموريس دونان (Maurice DUNAND)، لتأكيد مرجعيّة أفكاره واستناده إلى مراجع علميّة عالميّة.
هذا اللبنان الذي يحمل ثلاثة أسماء : "فينيقيا" (العهد الذهبيّ لمسيرته الإنسانيّة) و"لبنان" و"يلاّ نبدع". مثله مثل ألمانيا، جرماني ودوتشليند (Deutschland) وبريطانيا (بريطانيا وإنكلترا والمملكة المتّحدة)[3].إذاً سعيد عقل نقّب وخصّب تاريخ لبنان المادي كما المعنوي واضعا إياه في مصاف الدول المبدعة.

---

[1] عقل، "**هذا لبنان**"، م، س. ص ٢

[2] (سعيد) عقل، "**هذا لبنان**"، م، س. ص ٢

[3] المصدر نفسه، ص ٢

لم يكتفِ سعيد عقل بأن دعّم تاريخ لبنان بالمجد الأبداعي الأبدي (كما الله) وليس الآني كما البعض من الشعوب، بل نسب اليه فكرة وراثة العقل والإبداعات فجعله حاضنة للعقل.

بعدما حدد ماهية الأمة اللبنانية من الناحية الفلسفية والتاريخية، سعى إلى دعمها بأمجاد عظيمة، كأني به مثل أنشتاين يبحث عن البعد الرابع الذي لم يكتشفه بعد أي عالم. أراد أن يخصب لبنانه بتراث ومجد لم تصل اليهما أي من الأمم، فجعل لبنان وارث حضارات شرقية سالفة عظيمة، فلبنانه حافظ لتراثها حين تنازل أبناء تلك الحضارات- المدن عن تاريخهم الفكري الإبداعي. لبنان الأمين فكرياً ورث... واستوعب... وزاد، وما زال يحتضن إبداع أربع مدن من الشرق: صيدون ودمشق والقدس وأَنطاكيا، وكانت منارات فكريّة وحضاريّة في غابر الزمان. لم يستشهد بها من ضمن إيديولوجيّة قوميّة أوسع من لبنان (القوميّة السوريّة الإجتماعية، أو القوميّة العربيّة...). استشهد بها ليتابع ويقول بأَنَّ رسالات ثلاث من تلك المدن سقطت وبقيت رسالة صيدا الأساسيّة. وهنا، لا يضع على منكبي لبنان رسالته فحسب، بل رسالات الحضارات الأخرى ويأخذها على عاتقه. إنَّه حامل رسالات عالميّة وليس رسالة واحدة[1].

لذا يَعتبر سعيد عقل، أَنَّ تذويب لبنان في قوميّة محليّة أو إقليميّة، منفصلة عن الجوهر الإنسانيّ، يذوّبه بالفعل عن جوهر وجوده وعلَّته، بينما التذويب في الإنسانيَّة العالميّة ليس تذويباً على الإطلاق بل تثبيت لجوهره الإنسانيّ العالميّ. من هنا يمكننا القول إنَّ سعيد عقل سعى إلى المطلق ونبذ التقوقع والمحدوديّة[2].

لبنان المُحدد بإنسانه سوف ندرسه في الفقرة التالية بما إنه علة وجود لبنان وأساس كينونته وجوهر أمّوية سعيد عقل.

ج-الإنسان اللبناني أو عنصر النخبة

اللبننة عند سعيد عقل هي عملية دخول في الابداع والتشرّب من القيم والحضارة اللبنانية. فالفرد لبناني بقدر ما هو ابن عطاءات لبنان. من هنا اعتبر الأرمن لبنانيّين من أصل أرمنيّ وليسوا أرمينيين في لبنان. كان ضد التجنيس الجماعي العشوائي لعلمه بأن الديموغرافيا في لبنان في أزمة من هنا

---

[1] عقل، **قدموس**، ص ١٧ - ٢٣

[2] المصدر نفسه ، ص ٢٣ - ٢٤

مطالبته رؤساء الجمهورية اللبنانية في إنشاء وزارة أسماها "تصحيح الديموغرافيا".[1] لم ينظر إلى طائفة الشخص ليحدّد أحقيّته في الحصول على الهويّة اللبنانيّة، بل نظر إلى عطاءاته الحضارِيّة وخدمته للمجتَمع اللبنانيّ. حتى إنَّه كانَ ضدّ التوزيع الطائفيّ للمراكز والوظائف في الدولة اللبنانيّة وكانَ يحبّذ وضع الشخص المناسب في المكان المناسب من دون النظر إلى طائفته.

لم يذكر طائفة أو عرقاً محدداً ساهم في بناء الأمة اللبنانيّة، فهو يعلم أَنَّ الفينيقيّين لم يكونوا مسيحيّين ولا مسلمين ومع ذلك يتغنى بهم وبعطاءاتهم. وكذلك فخر الدين الدرزيّ والأمام الأوزاعيّ السنيّ، فلا فرق عنده بين فرد وآخر الاّ بمقدار عطائه[2]. فأكبر مجد للبنانيّين هو الايمان بإيل إله الحبّ إله الحضارة الفينيقية الما قبل المسيحية.[3] كما يعتبر ان اللبنانيّينَ في الانتشار هم أيضًا لبنانيّين كالمقيمين، وحيث هم يقيمون ندعو بلادهم "العَالَم اللبنانيّ". وهو أول من استعمل كلمة "الانتشار" بدل "الإغتراب" فنظر إلى الموضوع نظرة إيجابية تفاؤولية. فاللبنانيّونَ سواسية ولا تفريق بينهم مهما كانَ الجنس أو الدين أو غير ذلك. الهويّة اللبنانيّة تعطى للبنانيّين وحدهم. ونادراً للأجانب في حالات العبقريّة أو تقديم خدمة جُلّى للبنان، والأرض اللبنانيّة ملك اللبنانيّين[4].

يشدد سعيد عقل على قيمة النخبة وضرورتها في المجتَمع واضعًا إياها على نقيض "الجهّال وخطرهم على القيم الكبيرة"،[5] ليكمل ويعتبر أَنَّ هذه النخبة ليست " طبقة مثقّفين" بل هي "جسم حيّ، ذو معرفة وخُلُق في مستوى المصائر الكبيرة، واعٍ لذاته ودوره في العالم"[6] وكأنّك في الجمهوريّة الفاضلة لأفلاطون حيث الحاكم الفيلسوف العادل المستنير والواضع علمه ومعرفته في خدمة المجتَمع والكون. وإذا كان أفلاطون يركز في الحكم على الفرد – الحاكم – فسعيد عقل يركز على الإنسان اللبناني في المطلق كعنصر للنخبة، فهو الحاكم المسؤول حتى لو كان في أدنى سلم المجتمع. مع سعيد عقل كل مواطن حاكم ومسؤول وهو يشكل عنصراً أساسياً من النخبة بصرف النظر عن عمله ومادياته. هذه النخبة التي تتصرف "عن إرادة وإدراك بأَنَّها هي المسؤولة في النهاية عن مستقبل الإنسان في الأرض، وربما في ما وراء الأرض"[7]، هذه النخبة ليست متقوقعة ضمن جغرافيا أو عرق معيّن بل هدفها كلّ

[1] مقابلة مع ماري روز أميدي بتاريخ ٢٥ ايلول ٢٠١٧

[2](سعيد) عقل، عظمة الحواضر الفينيقية، مرتكز القومية اللبنانية، م. س. ص٧٠

[3] (سعيد) عقل، **"هذا لبنان"**، بيروت ١٩٩٧ م. س. ص ٢

[4] المصدر نفسه، ص ٣

[5] (سعيد) عقل، **غد النخبة**، دار نوبلس، بيروت ١٩٩١، ص ١٦٧

[6] المصدر نفسه، ص ١٦٩

[7] المصدر نفسه، ص ١٦٩

إنسان على الأرض وما وراء الأرض إذا أمكن. هي نخبة لا تعيش في برج عاجيّ بل مع الكلمة القائدة المؤثِّرة والمميِّزة لمجتَمعٍ عن آخر. هذه النخبة لها دورها الفاعل الذي يحدّد مدى عظمة أمّة عن أخرى. فالنخبة وليس العامّة "أوجدت صيدون وقرطاجة..."، فيقول لصيدون إنَّها "فاتحة عالم ومصدّرة عقل وذوق، حتّى لتأخذ الدنيا عن نظامها النوسو- ديموقراطي... ونخبة قرطاجة هي من جعلت منها أكبر ورشة لصناعة البطولة"[١]. وهذا ما سيبرز واضحًا في كتابه الوثيقة التبادعيّة الذي سيصدره لاحقا سنة ١٩٧٦.

يدعو سعيد عقل إلى تكوكب هذه النخبة في جسم مترابط، وهنا يفرّق بين الحزب وهيكليّة النخبة، فـ"الحزب عمل سياسيّ يتطلب الحُكم، والنخبة أكبر من تطلّب الحكم وأكبر من الحكم ذاته... الحزب ينفي سواه، والنخبة تُلهم سواها"[٢]، فالحزب قد يتنافس مع سواه ويكون في وضع سلبي بينما النخبة هي دائما معطاء وفي وضع إيجابي: "تسلُّم زمام الحكم يظَلُّ مشوبًا بشهوة السلطة، والنخبة فوق الشهوة وفوق السلطة. الحكم دولاب من دواليب تُشرف عليها النخبة، والنخبة المُلتَفتُ الذي إليه تتحرّك الدواليب. الحكم أسلوب لتعهّد الأمّة أو العالم في صعوده جهة مصير عظيم، والنخبة هي هذا المصير العظيم"[٣]. إذاً، النخبة لا تحكم بل هي المُلهمة الموجهة للحكم ولمصير البشريّة، هي لا تتلوّث بشهوة الحكم بل هي مُنزّهَة وفوق الشبهات. من هنا، رُبَّما، إنشاؤه لاحقا حزب التجدّد اللبنانيّ سنة ١٩٧٢ الذي ظَلَّ نخبويًّا وما لبث أَن تلاشى لاحقًا.

هذه النخبة شغلت رأس سعيد عقل طيلة حياته فحدد لها رسالة: البَدع ومزاملة الله[٤]. يجب ألاّ ننسى أَنَّ سعيد عقل مسيحيّ مارونيّ، ولقد أجاز السيّد المسيح مثل هكذا مزاملة حين قال: "كونوا كاملين مثل أبينا الذي في السماوات هو كامل"[٥]. كان يؤمن أن الإنسان عليه تخطّي الحاجة المادّيّة من مأكل وملبس ومسكن وطبابة ليطلب ما هو أعلى وأسمى: البَدْع. طبعًا سعيد عقل لا يفكّر أو يتصوّر أمامه سوى الإنسان اللبناني- العالميّ، بمعنى آخر فإنَّ كلامه موجّه إلى اللبناني في الدرجة الأولى. ثُم يتكلّم على بقاء هذا الإنسان المبدع وخلوده عبر الإيمان بالحياة ما بعد الموت. فكيف يمكن للإنسان أَن لا يبدع "ولولاه لكانَت الأرض صخرة صمّاء لا حياة فيها".[٦]

---

[١] عقل، **غد النخبة**، م. س. ص ١٧٧

[٢] عقل، **غد النخبة**، م. س. ص ١٧٠

[٣] المصدر نفسه، ص ١٧٠

[٤] **(سعيد)** عقل، **الوثيقة التبادعيّة**، الجزء السادس،دار نوبلس، بيروت ١٩٩١، ص ٢٠٤

[٥] الأنجيل المقدس، متى ٥: ٤٨

[٦] عقل، **الوثيقة التبادعيّة**، م. س. ص ٢٠٤

لقد حدّد سعيد عقل البرنامج اليوميّ لكلّ إنسان: هو البدع عبر مزاملة الله، أي إنَّه لا يتصوّر إنساناً حقيرًا خسيسًا، ذا صفات صغيرة يسعى وراء الأمور الهدّامة أو النميمة أو الخراب بل يراه ناظرًا دوماً وأبداً صوب العلى.

يتكلّم سعيد عقل على النخبة الملهمة للحكّام السياسيّين وللعامّة من الشعب، المتفاعلة بعضها مع بعض. لقد كانَ واضحًا في عدم سعيه إلى الإنتماء إلى أيّ حزب، فهو فوق الأحزاب والحرتقات اليوميّة، هو الملهم والمنظّر[١].

والجودة في نظر سعيد عقل يجب أَن تشمل كلّ شيء: الإنسان وعمله وأهدافه وأحلامه، وحتى المادة (La matière) جودة في النوعيّة وليس في الكثرة، جودة تحوّل الإنسان "من منتج للاستهلاك إلى فنّان حياة"[٢]. من هنا نستطيع أَنْ نستنتج أَنَّ اللبنانيّ عند سعيد عقل يحدّده إنتاجه وليس طائفته أو ماضيه أو عرقه أو لونه، فلبنان سعيد عقل يتضمّن المسيحيّ كما المسلم، عرب وادي خالد كما أبناء جبيل. اللبنانيّ من أصل لبنانيّ أو أرمني أو من الجزيرة العربيّة... المهمّ عنده إنسانِيَّةُ الإنسان وإنتاجه العقليّ الفكريّ وخاصة إرادة العيش المشترك مع شعب لبنان.

في مقابل النخبة أو الإبداع يحدد سعيد عقل في شكلٍ واضح وصريح، النقيض لهما وهو الخمول وقلّة الطموح[٣]، كأنَّه يضع يده على معضلة المعضلات، يختصر أسباب التأخّر في ركب مسيرة البدع حسب حلمه وتطلعاته، في الخمول وقلّة الطموح، منذ قديم العصور حتى يومنا هذا. فهو يركّز على الإنتاج والعطاء، يحثّ الشرق (ولبنان من ضمن الشرق) على أَنْ يكون منتجًا وليس مستهلكًا، يملك العلم والإختراعات ويصدّرهما، فينتقل من التلقّي إلى العطاء.

سعيد عقل الذي ذكر إحدى عشرة شخصيّة لبنانيّة أعطت العالم أمجادًا وأبدعت: قدموس من صور (الألفباء)، موخوس من صيدا (الحدس بالذرّة)، طاليس الفينيقيّ (معه بدأ العلم)، بيتاغور من صيدا (معه بدأ العدد)، ديوجين من أبيلا (فلسفة السخرية)، زينون من كيتيوم (فلسفة الرواقيّة)، إقليدس من صور (الهندسة)، بولس من يارون (رسول الماوراء)، أولبيان من صور(عبقريّ القانون)، بورفير من صور (فلسفة الجودة)، الأوزاعيّ من بعلبكّ (إمام الرحمة)[٤]، يطلب الآنَ إلى المجتَمع كوحدة متكاملة أَنْ

[١] عقل، **الوثيقة التبادعيّة**، م. س. ص ٢٠٤

[٢] المصدر نفسه، ص ٢١٢

[٣] عقل، **غد النخبة**،، م. س. ص ١٩٠

[٤] (سعيد) عقل، "**هذا لبنان**"، م. س. ص ٢

يتعاون على البدع والصعود إلى أعلى في دنيا الأمم والتاريخ والله. هذه هي الأمّة اللبنانيّة عند سعيد عقل[١].

أصدر سعيد عقل سنة ١٩٧٦ كتيبًا أسماه "الوثيقة التبادعية" يعرض فيه كيف أن الإنسان وحيثما كان في سلم المجتمع، عليه أن يتفاعل صعودا مع أخيه الإنسان من أجل مجتمع منتج متكافل متضامن مع بعضه البعض من أجل إبداع معرفي علمي أكمل. وليواكب عصره ولا يبقى في غياهب التاريخ، لاحقا حدد سعيد عقل عدة نقاط واجب إتباعها لتأمين الحد الأدنى من تبادع الإنسان اللبناني منها:

١. لكل لبناني الحقّ في التعلّم حَتّى التخصّص، الطبابة المجّانيّة وتعويض ماليّ للشيخوخة يوازي ضعف معاش قاضٍ ممارس لوظيفته.
٢. أربعة في لبنان لهم الأفضليّة: الطفل، المعلم، القاضي، والخلاّق.
٣. من لا يحصل من اللبنانيّين على اثني عشر ألف دولار في السنة هو تحت خطّ الفقر. (سنة ١٩٩٦)[٢].
٤. أصبح من البديهي أَنَّه كلّما تحضّرنا أصدرنا نفايات أكثر، لذلك أصبح لزامًا علينا أَنْ نعتبر البيئة في لبنان كالإنسان نفسه مقدّسة[٣].

لم يبقَ سعيد عقل في محراب التجريد والتنظير عن ماهية الإنسان الأمّوي بل درس هذا الإنسان عبر بعد ثالث المواطنة العالمية وبذلك يقوم بمقاربتين مختلفتين سوف ندرسهما لاحقاً.

د- علّة وجود لبنان

لم يكتفِ سعيد عقل بتحديد لبنان بذاته ولذاته بل خلق له علة وجود، الا وهي ضرورة وجوده من أجل محيطه الأقرب والأبعد. يؤكّد ذلك في ستة مبرّرات جعلها مداميك في الأساس اللاهوتيّ المحتوم لكلّ نهضة لبنانيّة، مجيباً عن السؤال: لماذا العالم في حاجة إلى لبنان؟

١. "لأن العالم في حاجة الى رقعة من الأرض تضرب المثل في الترفع عن الفتح المكاني، فتكون ولو على صغرها، موئل جماعة تنهض صُعُداً. أي التوسّع العمودي وليس الأفقي.

---

[١] (سعيد) عقل، **الوثيقة التبادعيّة**،م. س. ص ٢٠٨

[٢](سعيد) عقل، "**هذا لبنان**"، م. س. ص ٢

[٣] المصدر نفسه، ص ٢

٢. "لأن العالم كذلك في حاجة الى بقعة من الأرض لا تنكمش على جغرافية حادة الخطوط، فلا وطنية وقاح تريد بذاتها خيراً وبالغير دماراً، ولا عقلاً قومياً يفنى في جدوله ويعمى عن البحر العظيم".
٣. "لأن العالم في حاجة الى رقعة من الأرض في قلب آسيا وإفريقيا، تأبى لوحدها ان تكون لطائفة، اذ الله ليس بحاجة الى دولة تحميه، رقعة للمضطهد فيها سعة الحرية، وللأمّي مدرسة. ولمبغضها رحابة حتى يتعلّم ان المحبة هي الأعظم".
٤. "لأن العالم في حاجة الى رقعة من الأرض تكون لنفسها وللآخرين، تكفر بذاتها كلّما بدت أنانية، وتقدّر حرمة ذاتها ما ظلّت معقلاً لقيم".
٥. لأن العالم في حاجة الى رقعة من الأرض تضرب المثل على جندية للفكر تعطي البشر فكراً وعقولاً طليعة، وقادة وأساتذة، وتظلّ منفتحة على الإرث الإنساني الواحد، تغبّ منه وتغب وهنا فضيلة لبنان، هنا كل لبنان".
٦. "لأن العالم أحوج ما يكون الى رقعة من الأرض تؤمن بالإرث الواحد. رقعة تنتدب نفسها الى أوروبا في رسالة فذّة هي إعادتها الى القيم المسيحية التي قامت عليها. [١]

من ضوء إبداع لبنان الذّاتيّ وتفاعله مع حوضيه المشرقيّ والعالميّ، تصبح رسالة لبنان في بنية فعل تكثيف للإنسانية في الإنسان، ولبنان لا يتنازل عن رعاية العقل، وأجمل ما في تراثه أنَّه حبّ[٢]. واتّجاه فعله هو انفتاح على العالم وما فوقه، وهي رسالة تفرض جعل اللغة اللبنانيّة الحيّة لغة عالميّة. وهذا ما سنراه في الفقرة التالية.

هـ-اللغة والتدوين في المفهوم الأمّوي عند سعيد عقل

كانَ سعيد عقل عالم لغات وألسنيّة عالميّ وبامتياز، فهو يعتبر اللغة عنصرًا اساسياً من عناصر الأمة، فاللغة أداة العقل ومن هنا أهميتها في بناء الفكر الأمّوي والصورة الذاتية عند جماعة معيّنة، فلا نستطيع ذِكر فرنسا من دون اللغة الفرنسية ولا انكلترا من دون اللغة الانكليزية، هذا العالِم إحتلت اللغة والتدوين مكانة مهمة في تفكيره، من بداياته حتى آخر أيامه. كانَ قد ذكر في محاضرة له في الندوة اللبنانيّة أفكاره عن اللغة والتدوين[٣]، ثم عاد ليذكرها من ضمن مشاكل الشرق "يجب الأخذ بلغة الفم، لا ما

---

[١] خليفة، م. س. ص ٢٧٣- ٢٧٤
[٢] عقل ، مقابلة م، س.
[٣] (سعيد) عقل، لبنان، معضلات وقوى، م. س. ص ٧١

في الكتاب"[1] (نسبة للعربية) ، فلا نهضة لنا في الشرق ما لم نحلّ معضلتي اللغة والتدوين[2]. من هنا سوف نسرد نظريته في اللغة والتدوين فهو من قال:

١. إنَّ اللغة كائن حيّ، تولد وتكبر وتشيخ وتَموت وهذه الحتميّة مرّت فيها العشرات من لغات العالم وأصبحت اليوم من المنقرضة أو ما يسمّى اللغات القديمة غير المستعملة. فاللغة كالنهر كلّما طال مجراه كثرت روافده، بمعنى آخر، كلّما طال عمر اللغة وتشعّب مستخدموها اغتنت بالعبارات والتعابير وأصبحت قابلة للحياة أكثر، بينما اللغة المتقوقعة على ذاتها الرافضة للتطوّر بحجّة الفرادة والتَمايز تَموت وتضمحلّ.

٢. اللغة كائن متحرّك يتطوّر، فالفرنسيّة اليوم هي غيرها في القرن السادس عشر وكذلك الأمر باليونانيّة القديمة التي تكلم بها سقراط وأفلاطون وأرسطو، التي أعطت الحضارة العالميّة كمّا هائلاً من الروائع الفلسفيّة وخلّدة أفكارهم بها، هذه اللغة ماتت وحلت محلها اليونانية الحديثة التي نعرفها اليوم وبقيت الأفكار مخلدة في لغات العالم كافة. إذاً رغم الانتاج الابداعي ماتت اللغة اليونانية القديمة لتترك الساح لابنتها اليونانية المحكية اليوم. ويعطي مثلاً ثانياً عن اللغة اللاتينية اللغة الرسمية في الكتابة في عدة بلدان من اوروبا الغربية ، إذ يذكر أن دانتي الشاعر الإيطاليّ الكبير، حين أراد كتابة رائعته "الكوميديا الإلهية" إرتأى أن يكتبها في لغته المحكية في توسكانا وليس اللاتينيّة، رغم أنه كان يعتبر وريث فرجيل (إله الكتابة في اللغة اللاتينية) أساس اللغة الإيطالية. فلا يمكننا أن ننتج مواد حديثة بآلة إنتاج قديمة. ويغمز من باب العرب فيورد حادثة حصلت مع الخليفة عمر بن الخطّاب إذ كانَ يسجد كلّ ليلة أمام الصنم وحين تعرّف بالدين الجديد من خلال نبيّ المسلمين محمد، سجد أمام الصنم وقال له اليوم سوف أسجد أمامك لآخر مرة وغداً سأحطّمك لأنَّني اهتديت إلى من هو أهمّ منك. وهكذا حصل ليقول إن العرب اعتمدوا سُنّة التطوّر والأرتقاء في الدين فلماذا لا يعتَمدونها في اللغة[3]؟

ولا ينسى سعيد عقل تعداد اللغات التي مرّت على لبنان من فينيقية إلى لآتينية وعربية وفرنسية، يعتبر أن لغة لبنان الأمّوية هي التي يتواصل من خلالها الشعب اللبناني الحالي بعضه مع بعض. ويتبنى نظرية أن قيمة اللغة بما تكتنز من روائع في الأدب والفلسفة والشعر. فنراه يسأل هل اللغة الفرنسية أو الإنكليزية لغة أجنبية مثلها مثل السريلانكية أو الحبشية؟ الأولى تحتوى على روائع فكرية

---

[1] (سعيد) عقل، **غد النخبة**، م. س. ص ١٨٥

[2] المصدر نفسه، ص ١٨٦

[3] مقابلة مع سعيد عقل، م، س.

عالمية إذا ما تعلمناها نزيد من قدرات فكرنا وإدراكنا عشرات المرات، والثانية لغة العصر والحركة والطواعية اللغوية. بينما الأثنتان الأخريان من اللغات الفقيرة في الإبداع والإستنباط والمساهمة في الفكر العالمي. كما يعتبر سعيد عقل أنه يجب الأخذ باللغة الأم التي تتكلم بها الأم مع ابنها لأنها لغة الحياة والتقدم والتعبير. من هنا قوله بعدم نهائيّة اللغة.

٣. مرّ على لبنان العديد من اللغات الحيّة: الفينيقيّة واليونانيّة والسريانيّة وغيرها ربّما، لكن كلّها ماتت وبقيت اللغة اللبنانيّة الحيّة، ومع الوقت سوف تَموت هذه الأخيرة لتأتي بعدها لغة جديدة، إنَّه مبدأ التطوّر والارتقاء، فلغة لبنان تتغيّر مع العصور لكنّ لبنان لا يتغيّر ولا يموت بل يتطور.

٤. أبرزَ، عبر تفسيرات وحجج علميّة عديدة، أَنَّ اللغة اللبنانيّة هي بنت اللغة السريانيّة[١]. فهو اعتبر اللغة تُحدّد بتركيبة الجملة (٩٥%) ومن ثم بالكلمات (٥%). أوضح أَنَّ تركيب الجملة اللبنانيّة هي كتركيب الجملة السريانيّة، علمًا أَنَّه ما زال في اللغة اللبنانيّة الكثير من الكلمات الفينيقيّة والسريانيّة والأوروبيّة كما العربية.
إذا ما اعتقد أحدهم بأَنَّ اللغة اللبنانيّة هي بنت اللغة العربيّة فهو مخطئ. فاللغتين الآرامية والعربيّة هنّ أختين فالأولى أعطت السريانية وهذه بدورها أعطت اللبنانية. وبما أَنَّنا نعرف ونجيد العربيّة، فنحسب أَنَّ اللبنانيّة هي بنت العربية وفي الحقيقة هنّ بنات الخالات بسبب المفردات التي ترد في اللغتين. اما تركيب الجمل (Syntaxe) وهو الأساس فمختلف تماماً. لو أَنَّنا نجيد ونعرف السريانيّة لتعرّفنا مباشرة بأمّ اللبنانيّة وعرفنا أَنَّها ابنتها.

٥. لم يطالب يومًا بإعادة إحياء اللغة السريانيّة، إذ إنَّه اعتبرها لغة ميتة ويجب أَنْ يبقى حفنة من الأشخاص يجيدونها للدراسة التاريخيّة .

٦. لم يعتبر يومًا أَنَّ اللغة العربيّة هي اللغة الأمّ للبنانيّين، فحسب القاموس: اللغة الأمّ هي من تتكلّم بها الأمّ في مناجاة طفلها، وهذا ما هو غير حاصل بين الأمّ اللبنانيّة وطفلها، فهي تكلّمه وتناجيه باللبنانيّة.

٧. اللغة الحيّة هي اللغة التي يتكلّم بها شعب معيّن في حياته اليوميّة وهذا ما هو غير حاصل في اللغة العربيّة. إذًا هي لغة ميتة.

---

[١] (بطرس) الجميّل، **زجليات جبرايل إبن القلاعي**، ، دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢، المقدّمة ص هـ

ميّز سعيد عقل بين اللغات الأجنبيّة ولم يضعها جميعها على قدم المساواة، فعمد إلى الكتب العلميّة في العلوم السياسيّة[1] لمعرفة جدول اللغات الأولى المتداولة في العالم وجدول إصدارات الكتب حسب اللغات، فوجد أَنَّ العرب أصدروا في مئة سنة من الكتب ما أصدرته اللغة الإسبانية في سنة واحدة. من هنا قوله إنَّ على المرء معرفة لغات عالميّة حضارية يتفاعل العقل والعلم والمعرفة معها وليس لغات فقيرة في الإنتاج والفكر. فيذكر[2] أن اللغات الأجنبية ليست من المستوى نفسه. فمنها لغات أجنبية حضارية تتضمن ٩٢% من انتاج الفكر العالمي. من هنا تركيز سعيد عقل في حياته الخاصة كما العامة على النوعي وتكثيفه ورفضه للكمّي والكثرة. في جريدة "لبنان"[3] يذكر أن ٢٢ في المئة من الكتب الصادرة في العالم اليوم هي بالإنكليزية و١٧ في المئة بالروسية و١٥ في المئة بالألمانية و١١ في المئة باليابانية و٩ في المئة بالفرنسية، وبعد ذلك الإسبانية ٧ في المئة والإيطالية ٦ في المئة والبرتغالية ٥ في المئة. والبقية أي ٨ في المئة هي للستة آلاف لغة الأخرى في العالم، ونصيب اللغة العربية هو بين هذه الآلاف وليس حتى واحداً في المئة من النتاج العالمي. ولغتنا اللبنانية الصغيرة هي بين الآلاف من اللغات وأنا أسعى لتكون واحدة من اللغات الثماني الكبرى التي لا تتضمن الصينية، رغم أن ربع سكان الكرة الأرضية ينطقون بها[4].

٨. ولكي يدعم قوّة اللغة اللبنانيّة أخذ يكتب وينشر بها تباعًا، ويشجّع بقية الكتّاب على إصدار مؤلّفاتهم بها، ثُمَّ أصدر بها سلسلة كتب سماها "أجمل كتب العالم" ترجم فيها العديد من روائع الأدب العالميّ. اللغة اللبنانيّة هي لغة حيّة ومولودة في لبنان هي لغة لبنان الأمّوية ويجب أَنْ تأتي بعد اللغات الثماني الأولى التي يصدر بها ٩٢% من منشورات العالم[5].

٩. ولأن كل مثقّف في العالم يعرف الحرف اللاتيني، ابن الحرف الفينيقي، عاد وطوّره (اللاتيني) بما يخدم اللغة اللبنانية واعتمده لهذه اللغة، فألبسه صفتين هما المنطق والأناقة وجعله قابل لكتابة كل لغات

---

[1] كانَ كل سنة يشتري كتاب l'état du monde الفرنسي الذي يعرض فيه الحالة الإحصائيّة لكلّ دولة من دول العالم من صناعة ونوع الحكم والثقافة والاحداث الكبرى ... ليعود ويرميه في السنة التالية ويشتري الجديد ويعتَمده مرجعًا له.

[2] مقابلة مع الأستاذ سعيد عقل م، س.

[3] جريدة لبنان العدد ٣٠٠

[4] (كمال) ديب، **على بوابة الشرق مشاهدات لبنانية**، دار الفارابي، بيروت،٢٠٠٣، ص ٢٢٠

[5] (سعيد) عقل، "**هذا لبنان**"، م، س.

العالم. لذلك شجّع على هذه الكتابة منذ الستينيات من القرن العشرين، إلى أن جاء الخليويّ وتقنيّاته وأخذ الشباب اللبنانيّ يعتَمد نظريّته، فكانَ بذلك رؤيويًّا.

ويظهر مبدأ الأناقة عند سعيد عقل في الحرف الذي أوجده، ويشرح ذلك على الشكل التالي: قد يأتي حرف ال "S" في اللغة الفرنسية "s" في "sami" مثلا و "z" في "rose" مثلا ولا شيء في "nous" مثلا والشين "ch" حرفان. وفي العربية قد تأتي الهمزة "أ" ولا شيء مثال: أتى. الهمزة هنا حرف صوتي. كل ذلك يعتبره سعيد عقل "شبشلة"، وهذا ما جعل الدكتور Heinz Grotzfield رئيس الوفد الالماني في مؤتمر باريس اللغوي الذي عقد في عام ١٩٧٤، يقترح أن يكون حرف سعيد عقل ومبدأ وجوده عالميا، لأنه خالٍ من الفتحة والكسرة والسديل (ç)، كل حرف يلفظ ويُكتب. فالمنطق والأناقة عند سعيد عقل مبدأ رياضي أيضاً[1].

أثار سعيد عقل الكثير من الانتقادات حول مفهومه للغة والتدوين. مع ذلك استمر في الدفاع عنها. حتى جاءت التطورات العلمية وضرورات الحياة والتطور الطبيعي للكائن المسمى اللغة، لتثبت صوابية آرائه.

ولعلّ أفضل لوحة تختصر هدف سعيد عقل الأسمى في الحياة وفي إمّويته وثباته على أفكاره (وهناك تماهٍ دائم بينه وبين أمّته وأفكاره)، هي قوله في ختام محاضرة في الندوة اللبنانيّة: ضمن أحقر مرفأ (طبرجا) خرج كائن عنيد يزعم أنَّه ذاهب لدكّ سلطان روما. كيف؟ وقال: ليس بي بل بما أحمل من حقّ. دكّها وحده وبنى على أنقاض روما مملكة جديدة إلى اليوم سيّدة[2]. يقصد بولس الرسول والمملكة الجديدة هي مملكة المسيح. هكذا سعيد عقل لم يأبه للشعبوية أو تسويق آرائه بين العرب ومحيطه بل قال كلمته ومشى، حتى أنه لم يتكلف عناء التعب بالرد على منتقديه، بل ظل ينتج في دنياه كأني به يقول غدا سوف ترون سُنّة التقدم وتظهر صوابية أفكاري ومبادئي.

في هذا الفصل درسنا بالتفصيل مبادئ الأمّويّة اللبنانيّة عند سعيد عقل ، من بيئته الإجتماعية والفكريّة إلى الدور السياسيّ اليومي الذي حاول أداءه، وأخيرًا إلى أفكاره ومبادئه عن الأمّة اللبنانيّة، واعتمدنا على مصادر عدة مكتوبة ومقابلات مع أشخاص عايشوا سعيد عقل عن قرب.

---

[1] الأشقر،م. س. ص١٨٩

[2] (سعيد) عقل، لبنان، معضلات وقوى، م. س. ص ٢٦٥

في القسم الثاني من هذه الدراسة سوف ندرس العمليّة التطبيقية في الأمّوية اللبنانيّة عند سعيد عقل عبر الانتقال من العامّ إلى الخاصّ، واضعين أمّوية سعيد عقل ضمن منهجيّة العلوم السياسيّة وباحثين في المبادئ الكونيّة والإنسانيّة في أمّوية سعيد عقل، ومدى ديمومتها واستمراريّتها. كما أنَّنا في الفصل الثاني من القسم الثاني سوف ندرس تجسيد أمّوية عقل في السياسة العمليّة اللبنانيّة، في الفكر والسياسة. وهو من يطلق على علم السياسة في مقدّمة كتابه قدموس أنها "أشرف علم لأنَّه علم تعهّد الأناسيّ"[1]، أي علم إدارة مصير الشعوب وتحضيرهم والسير بهم صُعدًا نحو الرخاء والابداع. فهو أخطر علم على الإطلاق لأنَّ مادّته الإنسان مباشرة من دون المرور بالمختبر. كانَ ذلك ضمن مقدمة لمرسحيّة شعريّة، كانت بدايات كتاباته العلنية عن الأمّة اللبنانيّة.

[1] عقل، **قدموس**،م. س. ص ١٣

القسم الثانـي:

العملية التطبيقية في مفاهيم الأمّة اللبنانية عند سعيد عقل

في هذا القسم الثاني سوف نعرض العملية التطبيقية في الأمّوية اللبنانية عند سعيد عقل، العديد من الأسئلة يمكن أن نطرحها في هذا القسم، أولها هل اكتفى سعيد عقل بالمجال النظري والمحاضرات أو سعى إلى تطبيق فكره عبر خلق مجموعة من المريدين أو ربما تأسيس حزب أو تيار أو اتحادٍ ما، وكيف عبّر عن فكره الأمّوي اللبناني من خلال الجريدة الأسبوعية "لبنان" التي أصدرها زمان الحرب ١٩٧٥-١٩٩٠ وكانت تنطق بأفكاره؟ أصدر سعيد عقل جائزته الأسبوعية لتُعطى لشخص كتب "كلمة ملكة" فهل سعى إلى تطبيق أفكاره الأمّوية عبر هذه الجائزة ووضعها في خدمة مخططه اللبناني العام ؟ سنة ١٩٦١ أصدر سعيد عقل كتابه الشعري "يارا" باللغة اللبنانية والحرف اللبناني أي اللاتيني المعدّل، فهل نستطيع وضع ذلك ضمن السياق العام والخطّ البياني الجامع لفكره الأمّوي ؟

وضع عقل مبادئ أمّويته في بداية الخمسينيات من القرن العشرين (تاريخ نشر كتابه "غد النخبة")[1] واستمر في بلورة أفكاره ودعم مبادئها، فهل ما زالت تصلح لعصرنا الحالي؟ وفي خضم الكونية التي تسيطر على الكرة الأرضية هل مازالت الأفكار القومية صالحة؟ وبالتحديد المبادئ والأسس التي عمل عليها سعيد عقل؟

في هذا القسم سوف نضع الفكر الأمّوي عند سعيد عقل في ميزان منهجية العلوم السياسية، أي بمعنى آخر هل هي ضمن المنهجية العامة المعترف بها عالميًا، أم درب جديد من الفكر والرؤيا والمسار؟ وبالتالي هل هناك استمرارية وحياة لهذه النظرية في أرض الواقع أقلّه اللبناني ؟ وهل هناك إمكانية تعميم لهذه النظرية ومبادئها على بقية القوميات، بحيث تخلق نظرة أو تعريفاً أو مبادئ جديدة للقوميات في العالم؟ وهل نحن أمام تعريف جديد مبتكر على أسس لم يتطرق اليها أحد من قبل؟ وبالتالي هل نستطيع أن نطلق عليها العالمية أم أنها محض محلية لبنانية ؟

كل هذه الأفكار سوف نعرضها في هذا القسم الثاني والأخير، متّبعين المنهجية العلمية في العلوم السياسية التي تنص على الانتقال من العام إلى الخاص، ومن المقدمات إلى سبر غور الموضوع، أو من

---

[1] تذكر ماري روز أميدي رفيقة حياة سعيد عقل ، انها عثرت على كتابات له باللغة اللبنانية والحرف اللاتيني تعود الى الثلاثينات القرن الماضي. مقابلة خاصة مع السيدة أميدي، م، س.

النظرية إلى التطبيق. من خلال هذا القسم سوف ندرس مدى اطلاع سعيد عقل على الفكر السياسي العالمي الموضوعي ومدى اتّباعه المنهجية العلمية في طرح أفكاره. بمعنى آخر هل بقي سعيد عقل الشاعر صاحب الشطحات الفكرية والشعرية بما تتضمن من مغالاة وتعابير وصياغة خيالية، أم انتقل إلى المنهجية الفكرية العلمية في طرح قوميته ومبادئها.

سوف نقسم هذا القسم الى فصلين، الأول تحت عنوان أمّوية سعيد عقل: من العام الى الخاصّ ، فندرس مبادئ سعيد عقل ونقارنها بالمبادئ العالمية العلمية للقوميات. والآخر يحمل عنوان تجسيد قومية عقل في السياسة العملية اللبنانية، عارضين فيه المحاولات التطبيقية التي سعى فيها سعيد عقل الى تطبيق أفكاره في أرض الواقع.

فصل الأول:

قومية سعيد عقل، من العامّ الى الخاصّ

سعيد عقل أوجد أمّوية خاصة به وبلبنان، استمد أساساتها من تكوين لبنان المميز. من تاريخه الحضاري الذي كان ولم يزل يعجّ بعطاءات تَميّز بها شعبه. اكتشف أساسات للأمة اللبنانية تعود الى غابر الزمن، في حين اعتبر البعض لبنان فارق قسمة أو غلطة الدول الكبرى. فهل نستطيع تعميم هذه المبادئ والأساسات واعتبارها قواعد أو مدرسة جديدة في عملية تقييم النظريات القومية وتبويبها؟

بطبيعة الحال سعيد عقل القارئ النهم والمثقف من الطراز الأول، إطّلع على الكثير من الكتب والأفكار حول القومية. أفكاره لم تأتِ من العدم أو من دون معرفة للأفكار المنتشرة عن القومية التي تدخل ضمن منهجية العلوم السياسية في ذلك الوقت، ، لكن السؤال يبقى هل استفاد من هذه المنهجية أم لا وأين كان ذلك؟

هل تتضمن أمّوية سعيد عقل مبادئ كونية وإنسانية تجعلها قابلة للحياة والاستمرارية في لبنان (وفي العالم) أم أنها رد فعل على العروبة والوجود الفلسطيني في لبنان؟ هل هي ضدّ الغير (سلبية) أو معرفة وتحديد لماهية الذات (إيجابية)؟

عمل سعيد عقل على أمّوية لبنانية صافية ومنفتحة في الوقت نفسه ولربما سبق في خمسينيات القرن العشرين، الأمم المتحدة في مبادئها الكونية السمحة المنفتحة المعطاءة. فهل لهذه الأمّوية من حياة واستمراريّة؟

والسؤال الأخير: بعد انهيار حائط برلين وانفتاح العالم بعضه على بعض وسيادة العولمة في كل الدول وإن بنسب مختلفة، هل ما زالت القومية موضوع بحث يحرك الشعوب ويجمعها أو يبعدها بعضها عن البعض؟ وبالتالي هل ما زالت الأمّوية اللبنانية عند سعيد عقل صالحة للبحث وللديمومة؟

كل هذه الأسئلة المنهجية سوف نعرضها في هذا الفصل، محاولين الإجابة عنها بما يخدم الموضوع ويفيه حقه من دون الوقوع في التعصب الوطني (Chauvenisme) أو التكرار.

١- أمّوية سعيد عقل ضمن منهجية العلوم السياسية

ضمن منهجية العلوم السياسية وفي دراسة أي قومية في العالم هناك أسس واضحة وعناصر محددة قد تجتمع كلها (وهي بذلك نادرة) أو لا، في تحديد العناصر المكونة لأي قومية في العالم. بالكاد نجد كتاباً يعرض للقوميات في العالم لا يتضمن هذه العناصر. المكتبة العلمية تتضمن آلاف الكتب وفي كل اللغات، تدرس موضوع القومية. لن نطيل العرض والشرح لضيق المساحة وللالتزام بالمنهجية العلمية في كتابة هذه الرسالة. لكننا في مقارنتنا بين عناصر سعيد عقل والعناصر العلمية في تحديد القومية سوف نعتمد كتاب إرنست رونان المعنون "ما هي الأمة؟" والذي نشره سنة ١٨٨٧، ويعرض فيه رونان لمكونات عناصر الأمة كافة. وهو يعتبر أول وأهم من حدد عناصر الأمة في شكل موضوعي وواضح حتى أنه اصبح المرجع الأول لتحديد الأمة، وما زال كتابه صالحاً حتى أيامنا.

منهجيتنا سوف تعتمد على درس نص رونان ومقارنته بفكر سعيد عقل، محاولين إبراز نقاط الالتقاء والافتراق بين الفكرين.

يرفض سعيد عقل، بدءًا، المعايير السائدة في تعريف وتأريخ الأمم والتي يسميها الأسس الأربعة السياسة – المكيافيلية. أو الوحدات الأربع: جغرافية ودينية وعرقية ولغوية[١]. فيعتبر أن ما يصنع الأمّة هو العمل المنتج في كل الميادين، وبهذا المعنى ولا أية أمة تضاهي لبنان.

رونان يذكر ويؤكد "عدم وجود عرق بشري صافٍ"[٢] وهذا ما يؤكد عليه سعيد عقل باعتباره الفعل اللبناني هو انتماء حضاري أكثر مما هو عرقي. فالانتماء إلى الأمة اللبنانية يكون عبر التفاعل الايجابي ورفع مداميك الحضارة اللبنانية.

ويتابع رونان " أن العنصر العرقي لم يكن أبداً عنصراً أو مكوّناً من عناصر الأمة الحديثة، فعالم التاريخ والاجتماع البشري لا يمكن تحديده كعالم وعِلم الحيوان"[٣]. وهنا سعيد عقل لم يذكر ولا مرة أي عنصر بشري مكوّن للأمة اللبنانية، صحيح أنه تحدّث عن الفينيقية إنما كحضارة وإنتاج حضاري، علمي، معرفي وماورائي وليس كعرق. فالشعب الفينيقي الذي عاش في فينيقيا سابقاً ولبنان حالياً هو بحكم الواقع الذي لا يمكن الهرب منه، خاصة أنه أعطى لبنان مرحلة حضارية عظمى هي الأبهى حتى

---

[١] عقل، **قدموس**، م. س. ص ١٣

[٢] رونان، ، م. س. ص ٢٦

[٣] رونان ، م. س. ص ٢٨

اليوم بين كل المراحل الوجودية للبنان [1]. ثم يلتقي سعيد عقل مع رونان على اعتبار أنه "أبعد من المزايا والمكونات الأنتربولوجية هناك المنطق والعدالة والحقيقة والجمال التي هي سويا عند الجميع"[2].وهذا ما سبق أن ذكرناه عند سعيد عقل في بحثه عن ثلاثة: الله والنفس والمادة في تحديده للأمّوية وإبداعها. بعبارة أخرى يعتبر سعيد عقل أنه يلتقي وأي فرد يسعى إلى اكتشاف الله والنفس البشرية والمادة وسبر أعماقهم من أجل إنسانية أكثف وخدمة للإنسان وليس لمجرد الرياضة الفكرية[3]. حتى أن رونان يعتبر أن "سياسة العرق التي قد نستعملها ضد الآخر ترتد علينا"[4]، باعتبار أنها سلاح ذو حدين: في الحد الأول تُشحذ الهمم وتُنمي العصبية القومية بينما في الحد الثاني تُشحذ همم العدوّ أو في أحسن الأحوال المنافس، وقد يتغلب علينا، وفي كلتا الحالتين تضع حدوداً مصطنعة في وجه التلاقي والتقدم والتبادل الحضاري. هذا ما يؤكد عليه سعيد عقل حين يتكلم على الشق العالمي من الأمّوية[5]، فبنظره الأمّوية هي كوكبة من البشر لخدمة الإنسان والحضارة وكنه سرّ الله. فبقدر ما هي تجمع في المبادئ والرؤيا والأهداف هي انفتاح على الكون وأنسنته في شكل عمودي بارز صاعد صوب الله. بنظره أي عمل يجب أن يكون متجهاً صوب الله[6].

من الناحية العرقية يدرك سعيد عقل الحركة السكانية التي مرّت على لبنان من أقدم العصور حتى يومنا. والملاحظ أنه لا يحذو حذو بقية المفكرين في ذكر قدوم الفينيقيين من شبه الجزيرة العربية وبالتحديد من اليمن[7]، فيذكر لاحقاً الوجود الروماني والفارسي والعربي والعثماني والفرنسي وتفاعله مع لبنان. لم يَخف يومًا من هذا الوجود الغريب في لبنان إذ اعتبره وجود جيش محتلّ سوف يرحل أطال الزمن أم قَصُر. بل كانت خشيته من وجود شعب مُحتل كالفلسطيني مثلا، إذ إنه سيبقى ولن يرحل وسوف يغيّر في التركيبة الحضارية اللبنانية.

---

[1] عقل، مقابلة ، م، س.

[2] رونان، م. س. ص ٢٨

[3] عقل، مقابلة ، م، س.

[4] رونان، م. س. ص ٢٨

[5] عقل، **قدموس**، م. س. ص ٢٣

[6] عقل، مقابلة، م. س.

[7] علينا أن نقبل بأن أرضاً قاحلة تحتوي بشراً ويهاجرون إلى لبنان ويستوطنونه، وأرضاً خضراء فيها الفصول الأربعة ولا أجمل كانت قاحلة غير مأهولة تنتظر عرب الصحراء للاستيطان ومن ثم الإبداع فيها؟!! ربما علينا إعادة النظر في هذه الهجرات، ولماذا لا نعتبر إنه منذ الأزل أنبتت هذه الأرض شعباً وحضارة من دون الاستيراد من الخارج. وهل هذا يدخل ضمن نفسية اللبناني من البحث دائمًا عن سند أو مصادر خارجية في دغم قوّته ووجوده؟ أو كما كان يسميها سعيد عقل ذيلاً. سعيد عقل، مقابلة في ١١ أيلول ٢٠١٠

لم يفرّق بين لبناني وآخر ولا بأي حال وكان يطمح بأن كل فرد لبناني يرفع اسم لبنان في العالم عبر عطاءات حضارية جلّة. ثمّن الأرمن في لبنان ليس لأنهم مسيحيّون بل لأنهم يكتنزون أكبر نسبة فنانين ومثقفين من بين بقية مجموعات لبنان[١]. بمعنى آخر وحسب نظرية العلوم السياسية، لم يعتبر العرق عاملاً من عوامل قوميته بل العقد الاجتماعي مع بقية مكونات الأمة اللبنانية.

ننتقل إلى اللغة حيث يذكر رونان "أن اللغة تدعو الى الوحدة إنما لا تفرضها، هناك في الإنسان شيء أعلى من اللغة هو إرادة الحياة سويا"[٢]، فالإنسان لا ينتمي إلى لغة معينة بل إلى ذاته الإنسانية الأخلاقية"[٣]، علما أن "وحدة اللغة لا تؤدي حكمًا الى وحدة الأمة، فاللغة هي تكوّن تاريخي ولا تدل على أي عرق أو دم للشعوب التي تنطق بها"[٤]. وهنا أيضا يلتقي سعيد عقل مع رونان، فهو لم يعتبر أن هناك لغة رسمية أبدية للأمّة اللبنانية، كما أنه لم يدعُ إلى إحياء اللغة الفينيقية أو السريانية أو غيرهما من اللغات التي تكلم بها الشعب اللبناني عبر العصور، بل دعا إلى إحياء وبثّ الروح اللبنانية في الأفكار والإنتاج الفكري اللبناني الذي كُتب في هذه اللغات واعتماد اللغة التي يتكلم بها الشعب اللبناني الآن. فسعيد عقل يعتبر أن اللغة كائن حي يعيش لفترة ثم يموت، والعامل الوحيد الذي يطيل عمر اللغة هو مدى كثافة البَدع في هذه اللغة[٥]. فهو اعتمد اللغة اللبنانية المحكية حاليًا بين أبناء الأمة اللبنانية في نظمه للشعر وإلقاء محاضراته وكتابة وثيقته التبادعية، ودعا الى ترك اللغة العربية التي يعتبر أنها ماتت على الشفاه وتحنطت في الكتب[٦]. لكن سعيد عقل على نقيض رونان[٧] يميز بين اللغات، فمنها ما هو عالمي ومنها ما هو محلي، وكأني به يقيم مقاربة بين اللغة والإنسان الذي يولد ويموت، لكن بين النقطتين الفرق كل الفرق. فالفرق بين لغة وأخرى. مقدار تكثيف الإنتاج الفكري والعلمي في لغة معينة يعطيها الحياة والديمومة والاستمرارية أكثر من غيرها. لكنها في النهاية ولو بعد قرون ستموت لتنبت في ظلها لغة جديدة أكثر تطوراً وملاءمة للعصر[٨].

---

[١] مقابلة مع سعيد عقل، م، س.

[٢] رونان، م. س. ص ٢٩

[٣] المصدر نفسه، ص ٣٨

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٠

[٥] عقل، مقابلة، م، س.

[٦] المصدر نفسه

[٧] رونان، م. س. ص ٣٨

[٨] (سعيد) عقل، م، س.

من هذا المنطلق نشر سعيد عقل باللغة اللبنانية كتب عدة وبدأ بـ "يارا" سنة ١٩٦١ وصولا إلى "القداس الحبروي" و "عشتريم" سنة ١٩٩٩، علماً أن في أرشيفه العشرات من المخطوطات باللغة اللبنانية غير منشورة حتى يومنا.

كان باستطاعة عقل، وهو المُجلّي في اللغة العربية، أن يعتبرها الأساس في قوميته. إنما كانت ثورة اللغة واضحة في فكره وهو يافع فخطّط في بدايات حياته الفكرية بأن يكون الأول في اللغة العربية قبل أن يُفصح عن ثورته لكي لا يُقال إنه نادى باللغة اللبنانية عن ضعف في امتلاكه اللغة العربية[١]. نظر إلى اللغة من زاوية علم الألسنية (وليس من باب الشهرة أو السياسة) واعتبر اللغة أداة للتعبير عن الفكر والتخاطب والتواصل مع الذات قبل الآخر، وليست أداة تحجّر ومحدودية تفاعل. اتبع العلم مع علمه المسبق بالرفض والحملات الشعواء ضده، سار مسار العلم ونبذ الشعبوية.[٢]

يذكر رونان أن "الدين ليس عنصراً أساسياً في تحديد الأمة"[٣] ، كما ذكر أن " لا دين للدولة، فكل شخص يؤمن ويمارس دينه على هواه، لقد أصبح الدين أمراً شخصياً، فالدين يخصّ وعي كلّ فرد على حدة"[٤]. ويضيف رونان أن الدين يجب ان يسمح بالانصهار بين مكونات المجتمع[٥]، وكذلك سعيد عقل لم يقل يوماً بدين للأمّة اللبنانية، بل دَعا على النقيض تماماً إلى العلمنة وتبؤ الأكفاء للمراكز السياسية والإدارية المناسبة لكفاءتهم وخلقيتهم. كانت له صداقات وعلاقات مودة بكل الطوائف في لبنان، وحين أشاد بكبار من لبنان منذ أقدم العصور لم ينسَ أن يذكر الإمام الأوزاعي، إمام التسامح والرحمة وتقبّل الآخر وحماية الضعيف. حين أراد الكلام على مبدعين أو مجلّين من لبنان لم يتردد في ذكر الست نسب والدة الأمير فخر الدين الدرزية أو حسن الصبّاح وغيرهم الكثير من دون الالتفات الى دينهم أو طائفتهم. نظر سعيد عقل إلى الطوائف نظرة إيجابية وكعامل مساعد في إغناء لبنان شرط أن نحسن استعمالها، كان سعيد عقل متديّن كبير وليس متطيّف.

صحيح أن سعيد عقل مسيحي ماروني مؤمن وممارس وباعتراف كبار أساقفة الكاثوليك في لبنان[٦] هو لاهوتي من الطراز الأول، لكنه كان يعتقد أن كمال مسيحيته في محبة الآخر، كان يعتقد أن

---

[١] مقابلة مع ماري روز أميدي، م، س.

[٢] عقل، مقابلة، م، س.

[٣] رونان، ، م، س. ص ٣١

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٢

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٠

[٦] ذكر سعيد عقل أن المطران شكرا لله حرب الماروني قال يوماً " حين يتكلم سعيد عقل نشعر أن الله كامن في فمه،

الإنتاج والإبداع الفكري كفيلين بصهر اللبنانيين كافة في خطّ بياني واحد سؤده وسندانه البَدع والعطاء والحضارة أينما كان مشربها ومصدرها.

استَمدّ سعيد عقل نظرته إلى الله من اللاهوت المسيحيّ الكاثوليكيّ لكنَّه آثر احترام الأديان كافّة وعدم إدخال العنصر الديني في تكوين الأمّة عنده من قريب أو من بعيد. في فكر سعيد عقل يستحيل الفصل بين اللاهوت ولبنان. فهو يستَمدّ كلّ فكره وحركته العقليّة والجسديّة من مثاله الأعلى والأسمى الله، وبالتحديد حسب النظرة المسيحيّة. دعته مي المرّ "عالم لاهوت اللبنانيّة"[1] (Le Théologien du Libanisme). وإذا كانَ اللاهوت بالتعريف: علم الله، وصفاته وعلاقاته بالعالم وبالإنسان، فاللاهوت أنواع: الموحى (révélée) والطبيعيّ (naturelle) والفيزيائيّ (physique) والأخلاقيّ (morale)، وهو الذي يربط بين وجود الله والغائيّات الأخلاقيّة للإنسان. يعتبر أرسطو اللاهوت الأعلى في العلوم النظريّة، والعلمان الآخران هما الرياضيّات والفيزياء. ولا شكّ في أَنَّ سعيد عقل تأَثَّرَ برأي أرسطو، إذ يعتبر انه بمبادئ اللاهوت يمكن تفسير ادراك الإنسان أسس خلق الكائن وتركيبه، ما يستدعي "رياضة عقليّة، ويجعل اللاهوت مقاربة عقليّة لمفهوم الله. لكنّ اللاهوت يبقى في جوهره دوغمائيًّا. فهو "فلسفة لا تراجع فيها (Philosophie sans recul)، أي أَنَّه لا يحتَمل استقلاليّة النقد، أو هو حقيقة مفروضة بالتصويت (Vérité mise aux voix). وما يعنينا من هذا العلم أن اللاهوت بالنسبة إلى سعيد عقل، ولموضوعنا بالذات، هو عمليّة الربط الفكريّ التي صاغها سعيد عقل بين وجود الله وصفاته ككائن أسمى من جانب، ووجود لبنان وصفاته وأبنائه ككائن يجسّد جغرافيًّا وتاريخيًّا صفات الله الثلاث وهي: القدرة والمعرفة والمحبّة،[2] عبر رياضة عقلية وبناء فكري متراصّ.

أما الطائفية، وهي المعضلة اللبنانية بامتياز التي قضّت مضجع لبنان منذ القديم، فقاربها سعيد عقل في شكل براغماتيكي تطبيقي عملي صرف. فحتى فينيقيا كانت تعرفها تحت شكل طائفية المدينة – الدولة حيث كان لكل مدينة إلهها الخاص، وكان التنافس بين المدن ومن ورائه التحزّب لهذا الإله أو ذاك. ما يدهشنا أَنَّ سعيد عقل ينظر نظرة متميّزة إلى الطوائف، فهو اعتبرها نِعمة في لبنان، وقد أعطى مثالاً معبّرًا حين قال:"إنَّ اليهود مع أمّة كلبنان يتعلّمون كيفيّة اقتلاع العنصريّة من النفوس، بمعنى آخر، إنَّه لا يرى في تعدّد الطوائف في لبنان تقبلاً للآخر، بل أكثر من ذلك: تناضحًا دينيًّا وحضاريًّا. رسالة

مقابلة مع سعيد عقل م، س.

[1] (مي) المر ، اللاهوت عند سعيد عقل، منشور في **مجلة الراية**، شباط ١٩٦٨

[2] خليفة، **مدخل إلى الهويّة اللبنانيّة**،م. س. ص ٢٧٣- ٢٧٤

انفتاح بدل التقوقع اليهوديّ[1]. لاحقًا استنبط كلمة تبادع أي الأخذ عن الآخر والزيادة عليه للصعود قدمًا نحو العُلى الرّبّانيّ والعقليّ والجماليّ والمعرفيّ.

بعد ذلك يقول: "الطائفيّة معضلة إن شئتم ولكن، بقدر ما تكون موضوع تسلية يتلهّى به البعض... شهدتُ اجتماعًا لأربعة من طابخي الوزارات عندنا، وكانَ محور طرف من حديثهم أَنَّهم لو صرفوا النظر عن مراعاة الطائفيّة في تأليفهم الوزارات لاضطروا إلى أَنْ يولوا الحكم لخصومهم، وهذا لا يخيفهم لأَنَّ خصومهم من شاكلتهم، فلا بدّ أَنَّ يخفقوا فيجيء دورهم هم من جديد – بل لاضطروا إلى إيلاء الحكم صنفًا من الرجال غير الصنف المتداول: وهذا ما يكفي لمحو وجودهم نهائيًّا من ولوج السياسة، وختم أجرأهم بقوله: أبقى الله الطائفيّة ذريعة نوهم بها الناس أَنَّ لا بدّ من بقاء أمثالنا على المسرح. والواقع أَنَّه لو شكّلنا الوزارة من شارل مالك الأرثوذكسيّ وحده مع خمسة شارل مالكيّين، جميعهم أرثوذكسيون، لما قامت قيامة أحد. لأَنَّ موضوع الناس، في عهد وزارة كهذه سيكون الانقلاب الذي يخلق الأمّة خلقاً جديدًا، ولا يبقي متّسع من الوقت للكلام على أكبر أكذوبة يلهون بها".[2]

ميّز سعيد عقل بين وجود الطوائف في لبنان والطائفيّة. فالطوائف مصدرًا للتقدّم والانفتاح والأنسنة وتقبل الآخر. اعتبرها عاملاً جيّدًا في تحضّر المجتَمع عبر تبادع الفرد مع أخيه الإنسان. بينما الطائفية مصدرًا للسيطرة على المجتَمعات والتحكّم فيها، وحجب الإنسانيّة والحقيقة والإبداع فتُصبح آفة مضرّة ومميتة للأمّة اللبنانيّة في شكل عام وللفرد في شكل خاصّ. من هنا قوله لاحقا : "السياسيّون هم أصل الفساد"[3] في لبنان.

في الإطار نفسه يعيب سعيد عقل طريقة الانتخابات في لبنان، التي تشابه الطائفية بالاستعباد والإمساك بقرار الفرد، وتعتمد كالطائفية على مبدأ فرّق تسد، والرشوة والمحسوبيّات التي لم يسلم منها حتى رياض الصلح شهيد لبنان. واعتبر أَنَّ اثنين يتحمّلان وزر هذه الجريمة: الشعب اللبنانيّ من جهة والسياسيّون الذين لم يسعوا إلى ترقية الشعب من جهة[4]. في هذه الفقرة يطمح إلى الحرّيّة في التعبير والتفكير والقرار، يطالب بإنسان قادر، حرّ، وصاحب فكر ومتَمكّن من اتّخاذ قراراته بحرّيّة. كما يحلم بسياسي رؤيويّ يسعى إلى ترقية شعبه. معيار تقييم سعيد عقل لأي فكرة أو نظرية هو مدى خدمتها لرقي

---

[1] عقل، **قدموس**، م، ي، ص ٢٣

[2] عقل، لبنان، معضلات وقوى، م. س. ص ٢٦٤

[3] (سعيد) عقل، لسان الحال ٢٤ شباط ١٩٦٥

[4] (سعيد) عقل ، لبنان، معضلات وقوى، م. س، ص ٢٦٨

الإنسان وانفتاحه وليس تقوقعه واستثارة الغريزة الحيوانية لديه، أو التلطّي خلف الطائفة من أجل الوصول إلى المراكز وشحذ الهمم.

نعود إلى رونان لنقرأ عن الجغرافيا التي "هي إحدى العناصر الأساسية في التاريخ فالأنهر تقود الجنس البشري والجبال تحد من تحركه، الأولى تسهل والثانية تحد من حركة التاريخ. فالجبال تفصل والأنهر تجمع"[١]. و"الجبال هي عامل فصل او جمع حسب الأسباب الإستراتيجية فما من شيء مطلق" و"الأرض ليست أهمّ من الجنس البشري في تحديد الأمة". "الأرض تعطي الحضور المادي الملموس والفرد يعطي الروح للأمة"[٢]

من الناحية الجغرافية لم يذكر سعيد عقل يومًا تميّز لبنان بموقعه على خطوط الطول والعرض، أو بمناخه المتوسطي أو بفصوله الأربعة أو بعدم وجود صحراء قاحلة الأرض والفكر في ربوع لبنان. كما أنه لم يرَ انفتاح لبنان على البحر الاّ من باب تركيع البحر وركبه وسبر عبابه وعدم الخوف منه. إذًا الموضوع ليس موضوع بحر بل الاستفادة من البحر وتحويله من مصدر خوف وبُعد إلى مصدر مغامرة معطاءة وتقريب بين المسافات والشعوب. وكذلك تغنَّى في فكره الأمّوي، بقمم جبال لبنان المرتفعة في هذا الشرق المنخفض، وتغنّى بتحدّي اللبناني للعلوّ وبأنه استوطن الجبل في أعلى قممه واستفاد من أخشابه ليعبر البحر ويبني منزله. كما ذكر كيف استفاد اللبناني من الجبل وأدخل طبيعته الوعرة في شخصيته وطوّع المنحدرات وأقام فيها الجلول. نعود ونقول أنه لم يتغنَّ بالمادة الصمّاء بل بعملية تحويل المادة من جماد الى حركة إبداع، وفعل العقل فعلته في البدع.

إرنست رونان يعتبر أن "انصهار الشعب وإرادة الشعب للعيش سويا هما اللذان يؤلفان الأمة"[٣]. إرادة الذوبان في المجتمع الكبير عبر التناضح أي عبر الأخذ والعطاء. إنها عملية قبول الآخر أولاً والتفاعل معه ثانيًا. الأساس في الأمة أن يكون هناك الكثير من العناصر المشتركة بين مكونات أفرادها، وأن يتنازل الجميع عن العناصر الخاصة لمصلحة العناصر المشتركة[٤]. "ففوق اللغة أو العرق، والحدود الطبيعية والجغرافيا، يضع موافقة الشعب وارادة العيش معاً، مهما كانت اللغة أو العرق أو الدين. ويعطي مثلاً سويسرا التي ربما هي الأمة الأوروبية الأكثر مشروعية في التكوين (حسب تعبيره)، وفي داخلها أربع لغات، ودينان أو ثلاثة أديان والله وحده يعلم عدد الأعراق. إن الأمّة هي بالنسبة الينا الروح، أو عائلة

[١] رونان، م. س. ص٣٢

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٣

[٣] رونان، م. س. ص ٢٠

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٢

روحية، ناتجة من الماضي من ذكريات، وتضحيات. وفي الحاضر، هي الرغبة في الاستمرار في العيش معا. ما يشكل أمّة، ليس الانتماء إلى من يتحدثون اللغة نفسها أو إلى المجموعة الأثنية نفسها. هو العمل سويا سابقا في الماضي وحاليا في الحاضر أعمالاً عظيمة ، وسوف نكمل السعي مرات أُخرى في المستقبل".[١]

أما سعيد عقل فهو يركز على تكوين الأمة بناء على معيار إرادة العيش معاً التي ترتضي بها مجموعة من البشر على أرض محددة، ويعتبر لبنانياً كل من اعترف بلبنان أُمة له من دون غيرها. على ألا يكون هذا اللبنان ملحقاً ولا تابعاً لأي من الدول أو الأقاليم. فعلى كل لبناني أن يتفاعل مع الحضارة اللبنانية ويحترمها. وعبر "الوثيقة التبادعية" يشدد سعيد عقل على الالتزام الفاعل في الحضارة اللبنانية ومن ثم العالمية الإنسانية. بمعنى آخر يعتبر صفتي اللبناني والمبدع متلازمتان، أي أنه لا يريد أياً يكن من اللبنانيين بل مجموعة من المتفاعلين مع بعضهم البعض[٢].

سعيد عقل عمل على إبراز العديد من القواسم المشتركة اللبنانية التي يتميز بها جميع اللبنانيين من قيم وطبائع وتطلعات، ساعيا الى إيجاد هذه المساحة الطبيعية الكبيرة من التلاقي والتقارب والوحدة في الشعب اللبناني، فوضع مثلا تسعون فضيلة سماها فضائل فينيقية يتميز بها الشعب اللبناني، كلها إباء وكبر وعظمة باتوا جرعة من العظمة في الأمة اللبنانية[٣]. حتى أنه كان يقول أن في لبنان ديانة واحدة تجمعنا وهي الديانة اللبنانية فلا مسيحيي لبنان هم كمسيحيي الغرب ولا مسلمي لبنان كبقية مسلمي العالم[٤].

يعتبر رونان "أن الأمّة الحديثة هي ناتج تاريخي لسلسلة من الأحداث المتقاربة والمتجهة في ذات السياق والهدف.... دائما السبب المهم للبقاء والاستمرار هو ما يؤدي الى تكوّن الأمّة"[٥]. وهكذا سعيد عقل عمل على إبراز الأحداث العلمية والأعمال التاريخية المهمة والبنّاءة كأساس في تكوين الأمّة اللبنانية. لذلك استخدم سعيد عقل التاريخ في تدعيم أُسس الأمّة اللبنانية. ليس تاريخ التعداد (la chronologie) بل التاريخ النوعي من ناحية التراكم النوعي وليس الكمي عبر السنين التي مرّت على لبنان. لا نستطيع اعتبار الشعوب كافة على قدم وساق من الناحية التاريخية. فحضارة شعوب الكهوف

---

[١] رونان،م.س. ص ٣٨

[٢] عقل، مقابلة م.س.

[٣] الأشقر، م. س. ص ١٨٥

[٤] عقل، مقابلة م. س.

[٥] رونان، م. س. ص ٢٣

والأدغال لا نستطيع مقارنتها بالحضارة الفينيقية أو الإغريقية أو الأوروبية أو غيرها من حضارات الشعوب التي أغنت الإنسانية ورفعتها عاليًا، علماً أنهم جميعا عاشوا في الحقبة الزمنية نفسها. المهم عنده مقدار ما يحمل التاريخ من نوعية وكثافة أعمال حضارية وليس عدّ أيام فقط وتاريخ حروب وانتصارات. سعيد عقل يؤرخ للحضارة وليس للجيوش، يؤرخ للعلم والتقدم الإنساني وليس للحكّام والقتل. لذا عمل على إظهار تاريخ لبنان مُخصّباً بالأفراد والجماعات العباقرة – أصحاب عمل فردي أو جَماعي جديد كفتح في الفكر الإنساني.

يعتبر رونان "أن الفرد هو العنصر المكوّن الأساسي لما نسميه الشعب، وان ما من مادة تكوينية تكفي لتحديد الأمة. فالأمة هي تكوين روحي ناتج من مألفة عميقة من التاريخ ومن الروح المتضامنة وليس من جماعة محددة عبر تمثيل الأرض . فلا يستطيع الفرد ان يرتجل، وكذلك الأمّة هي نتاج ماضٍ عريق من الجهود والتضحيات والإخلاص"[١]. أي أن الفرد الذي يمثل الحاضر لديه إرث عميق ضارب في التاريخ، ولا نستطيع فصل الحاضر عن الماضي، بل هما استمرار أحدهما للآخر. وهكذا سعيد عقل كما ذكرنا يركّز على تاريخ لبنان الإبداعي وكأني به يقول للبناني الحاضر : هذا تاريخك كن استمراراً له وفي مستواه من الإبداع العالمي. هذه هي منارات (بعلبكات) لبنان التاريخ أنتج مثلها. نبذ سعيد عقل الصغائر في حياته الخاصة حتى أنه لم يردّ على أي ناقد أو متهجم عليه وعلى فكره، بل كان دوما ناظراً صوب العلى والإنتاج الفكري وسعى إلى تصرف الشعب والأمة اللبنانيين برفعة النفس هذه ليتمثّل في حاضره العظيم وينتج للمستقبل عمارات كونية[٢].

عرضنا الأفكار والمقومات الأساسية لبناء الأمة من وجهة نظر إرنست رونان مقارنة بفكر سعيد عقل ونستطيع الاستنتاج أن لسعيد عقل تفسيرات خاصة ومميزة لكل من الأسانيد التي تُعتمد في تحديد القومية في العلوم السياسية. لا يكتفي بالتعداد بل يسعى إلى إظهار تمايز لكل من هذه النقاط عموديًا وليس أفقيًا. يظهر أهميتها النوعية وليس الكمية. يدرس وجودها الفاعل عبر الحضارة والتاريخ وليس الأسمي فقط.

لم يشذّ سعيد عقل في مبادئه الأمّوية عن المبادئ العالمية العلمية في مدرسة العلوم السياسية بل احترمها وتوقف عندها مليا، انما حاول اعطاءها بُعداً آخر هو بُعد العلاقة مع الله أو الإبداع، مع الماوراء (au-delà) المادة أو الفكرة أو الجبل أو البحر... هذا ما يجعلنا نقول أن سعيد عقل احترم دوما العلم

---

[١] رونان، م. س. ص ٣٣

[٢] أميدي، مقابلة م. س.

ومدارسه وطبقه بحذافيره. سعى الى نشر أفكاره ومبادئه عبر السير على طريق العلم والمنطق، وأراد الديمومة لأفكاره فاعتمد العلم والكونية.

٢- المبادئ الكونية والإنسانية في أمّوية سعيد عقل أو المعادلة بين الأمّة والعالمية

نصل إلى معضلة أدركها سعيد عقل ودرسها ووجد لها الحل والشرح، ألا وهي الجمع ما بين الأمّوية والعالمية، بين الأنا الذاتية والانفتاح. أقام معادلة بين ذاتيَّتِه (خصوصيّته) وشموليّته (إنسانِيَّته)، فإعتبر أن خصوصيّة لبنان هي أَنَّه إنسانيّ عالميّ متّحد ومتّصل بِالإنسان الفرد والعالم الجماعة أو المجال الرحب. فلبنان يختلف عن دول الشرق الأوسط في أَنّه بلد اتّصال لا بلد انفصال[١]، يقرّب المسافات، بالانفتاح والعطاء. وكنا قد حددنا سابقا مجالات عمل هذا الانفتاح الرسالة. فهو يعتبر أنه، إذا كانَت إنسانِيَّة لبنان العالميّة جزءًا من حقيقة واقعة، فإن ذاتِيّته تكون إنسانِيَّة كونيّة[٢].

استعمل سعيد عقل عبارة تكثيف الإنسانيّة في الإنسان،[٣] لما تحمل من معانٍ كثيرة في درس الأمة اللبنانية عنده، فهي تحترم مبادئ العقد الإجتماعي كأساس للأمّة، أي الاختيار الطوعيّ للمنتمي للأمّة من جهة وللمجتَمع من جهة أخرى. فأمّوية سعيد عقل لا تعرف خاصّيّة الدين ولا العرق ولا الجنس أو البيئة أو الانتماء لتاريخ معيّن. اعتَمد فقط الخيار الحرّ للانتماء إلى الحضارة اللبنانيّة الإنسانيّة حيث للقدرة والمعرفة والمحبّة المساحة المُطلقة.

اللافت أَنَّ سعيد عقل في مقدمة مأساته الشعرية "قدموس" ختم مقدّمته بجملة سوف ترافقه طوال حياته "لبننة العالم"[٤]، ليس أيّ لبنان بل كما وذكرنا، عن تصوّره لهذا "اللبنان". في كتابه غد النخبة يكمل سعيد عقل شرح مسألة التوفيق بين المواطنيتين، واضعًا إياهما بين المعضلات والمشاكل الكبرى للإنسان والشرق والعالم. ما يهمّنا من الموضوع هو ما ذكره عن "معضلة التوفيق بين المواطنيتين الهادرتين في ضمير الإنسان الحديث: مواطنيّة الأمّة ومواطنيّة العالم ... بحيث لا تبقى الأولى آمرَةً وتتطلُّب عيشًا عن طريق غزو الغير، وبالتالي اعتبار البغضاء أساس بقاء، ولا تستَمرّ الثانية تهرّبًا من التزامات الإنسان نحو الأقربين وذوبانًا في كلاميّة تُدمّر الثقة بما يرتسم على الأفق من وحدة العالم".[٥] ربّما، كانَ من قلّة

---

[١] عقل، مقابلة م. س.

[٢] عقل، **قدموس**، م. س. ص ٢٣

[٣] المصدر نفسه، ص ١٤

[٤] عقل، **قدموس**، م. س. ص ٢٥

[٥] عقل، **غد النخبة**، م. س. ص ١٨٣

في الشرق تكلّمت على هاتين المواطنيّتين اللتين ستغدوانِ لاحقًا الشغل الشاغل لمفكري الأمم المتّحدة والعلوم السياسيّة الدوليّة في الربع الأخير من القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين. فكرة جديدة يتناولها سعيد عقل في كتاباته، سنة ١٩٥٤، هي المواطنيّة العالميّة. يذكر أَنّ مواطنيّة الأمّة فيها من الانغلاق والأنانيّة بحيث أَنَّ المرء لا يتفاعل إيجابًا مع الأخر، بل يتقوقع على ذاته الأمّويّة في مقابل الأمم الأخرى. لنعود ونذكر بأنه لا يبحث عن أشبار من الأرض بل عن النوعيّة الإنسانية التي هي ذاتها سوف تحدد قيمة أمة ما بين الأمم وتُكثّف علة وجودها. أي أَنَّ الجغرافيا أو البيئة لا تحدّد في مفهومه الأمّة، بل الأعمال والأفعال. ولقد سماها لاحقًا البعلبكات. وهو يعتبر أَنَّ الحضارة الفينيقيّة كانَت تغطّي منطقة أوسع من حدود لبنان الحاليّ، فمن تخوم تركيا إلى عريش مصر، لكن بما أَنَّها انحصرت في منطقة الإنطلاق "لبنان" فالأجدى بلبنان هذا الحفاظ والافتخار والتباهي بهذا الإرث، إنه نوعية ورسالة وليس مساحة وعدداً. فلبنان كما الله في اللاهوت، لا يقبل صفة خارجة عنه. وكل صفة خارجة عنه تعطيها لوطن هي اقتلاع لهذا الوطن من جذوره، من أرضه وتاريخه، وخصوصًا من ذاته أي من القيم التي يمثّلها.

في حديث لي معه عن الفرق بين الأمّوية والكونية قال: "أكثر ما تشبه الأموية اللبنانية إنسانًا اجتمع فيه الحب والمحبة. الحب ان تخصّ قلبك بواحد فإن أضفت اليه آخر خنت الحب. والمحبة أن تمنح نفسك للبشرية جمعاء، من سبق أن وُجدوا ومن هم في الوجود ومن سوف يوجدون، فإن أسقطت منهم واحداً خنت المحبة. الأمّوية اللبنانية ولربما وحدها حب ومحبة. اللبناني؟ بالحب هو للبنان وحده لا شريك فيه، وبالمحبة هو للبشرية كلها لا ينتقص منها ولا أمّة"[1]. هنا أيضا لم يستطع الخروج عن إعطاء مثل فيه من الله واللاهوت الشيء الكثير، وسواء أكان حبًا أو محبة فهو عطاء وبذل للذات من أجل الآخر. هكذا يرى حبه للبنان عطاءً مستمدًا من لاهوت الخالق.

سعيد عقل لم يطلق مبادئ الأمّة اللبنانية من باب القوقعة والانعزالية، بل انطلق بها نحو الكونية والإنسانية الشاملة فوضع الإنسان اللبناني أمام معضلة عقلية إبداعية، ألا وهي التوفيق بين المواطنيتين الأمّوية والعالمية وحاول التوفيق بينهما ودرسهما وكأني به يطرح المسألة وحلها في آنٍ معًا.

ذكرنا أن سعيد عقل بدأ بالتفكّر في وضع مبادئ وأسس للأمة اللبنانية وهو في الثلاثين من عمره أي في الأربعينات من القرن العشرين. تلك المرحلة كانت تعج بالأفكار والمبادئ القومية من سورية قومية اجتماعية، الى عربية وبعثية وإسلامية وقبطية وكردية،... جاء سعيد عقل بنظريته كأنه استفاد من

[1] عقل، مقابلة م. س.

عورات، وعثرات، الآخرين في بناء هيكلهم الفكري، وحاول بناء هيكل فكري متماسك مستدام وراقٍ، واستمر في بلورته حتى بداية الثمانينات من القرن العشرين.

أدرك سعيد عقل أنه اذا اراد الوصول الى الرقي فعليه السير على طريق الكونية والسمو ورفعة الأفكار. عليه تقريب الآخرين من مبادئه وحملهم على مناصرته وليس معاداته، وأول الآخرين كانوا رجال الفكر والعلم.

حين تكلم سعيد عقل على كونية الإنسان اللبناني وبالتالي الأمة اللبنانية، باعتباره مفكراً يعتمد تمايز الشعب اللبناني عن غيره من الشعوب لينطلق الى مساعدة الشعوب الأخرى عبر عطاءاته العالمية. هل هذه شوفينية وطنية؟ أظن أن سعيد عقل اختط رسالة خاصة بلبنان وهو "معلم معلمي العالم" كقدموس ناشر الأبجدية الفينيقية وبطل مأساته الشعرية.

سعيد عقل لم ينظر الى الإنسان اللبناني كرجل حرب وصراعات وقتال وموت ودمار، بل كإنسان مغامر ومطوّع للمادة الصماء والبحر والجبل والريح، وأحيانا تجاسر هذا الإنسان وطلب الى الله أن يغيّر مخططه في قانا الجليل (يعتبر سعيد عقل ان قانا الجليل اللبنانية هي ذاتها قانا جليل الإنجيل استنادا الى دراسات القديس جيروم الأركيولوجية[١]).

هذه النظرة الكونية أو العالمية السعيد عقلية الى العلاقات مع الغير ليست بجديدة على لبنان اذ عرفها الفينيقيون قبله بآلاف السنين، فهم من استوطن إفريقيا وأوروبا ووصلوا الى أميركا. استوطنوها عبر التبادل التجاري والثقافي والعلمي. لم يقم الفينيقيون بأي حرب ضد الآخرين بل عقدوا معاهدات صلح وتعاون وتبادل، وحين أتت الساعة واضطروا الى المواجهة ضد روما، حاربوا وكادوا ان ينتصروا في الحروب البونيكية بقيادة هنيبعل القائد القرطاجي.

يستطيع أي مفكر أمّوي أن يعتمد في نظريته ومبادئه الأمّوية عن وطنه نظريات ومبادئ سعيد عقل، وإلباسها أسس الأمّوية لبلده شريطة ان يحافظ على هذا البعد الثالث الصاعد عموديًا نحو العُلى، نحو الله / الكمال أو الجودة. أن يظهر ثلاثية الجمال والحق والخير في أُسس ومبادئ أمّته.

[١] عقل، مقابلة م. س.

في كل أسّ من أساسات الأمة اللبنانية عند سعيد عقل لم ينبش الماضي والتاريخ ليستخرج منه دعائم للقومية، بقدر ما رسم سياسة وخريطة طريق للمستقبل وهذه ميزته عن غيره من المنظرين للقوميات، فهو رجع الى الماضي ليرسم طريق المستقبل، ليشحن النفوس بالهمم والعطاءات ورفعة الرأس للسير قدما نحو إكمال رسالة الأمة اللبنانية في العالمية والاشعاع كونياً.

اذا كان منظّرو الأمم يعملون على بعدي الزمان والمكان، فسعيد عقل أضاف بعدًا ثالثًا هو الإبداع، وبمعنى آخر تفعيل البعدين الأولين لينتقلا من مرحلة التعداد العددي الى مرحلة الإنتاج المثمر للفرد وللإنسانية جمعاء.

يذكر سعيد عقل ان كل إنسان يولد ويموت ولا استثناء، لكن الفرق هو بين الولادة والموت، هو تَرك الأثر بعد الممات، هو تخليد الذِكر عبر عملٍ مبدعٍ ما، وهذا ما سعى اليه دوما سعيد عقل، من خلال دعم ذكر لبنان العائش ابدا، عبر أعمال حضارية (وهي الباقية أبدا) تدعم حضوره وإشعاعه وتمايزه. ويأخذ مثلا باريس عاصمة فرنسا التي لم يدمرها النازيون في الحرب العالمية الثانية، واعتبرت مدينة مفتوحة حفاظاً على كنوزها الحضارية المعمارية والفنية العالمية، فخافظ إرثها الحضاري النوعيّ الكبير على حاضرها ومستقبلها.

لم يسعَ سعيد عقل الى الإستئثار بالنوعية له وحده او للبنان بل سعى دوما الى نشر المعرفة ومساعدة الغير في الرقي، من هنا اقتراحه إنشاء وزارة السلام العالمي ضمن تشكيلة الحكومة اللبنانية، باعتبار لبنان المؤهل الوحيد لنشر السلام والحق والخير في العالم، لما يكتنزه من هذه القيم في تاريخه السحيق[١].

يذكر انه في معرض قراءاته اكتشف "لقيات" اي أشياء ثمينة لدول عدة، لو أخذت بها تلك الدول لأصبح مواطنها يفخر أكثر وأكثر بأمّته. انه يسعى الى ترقّي الجميع من أفراد وأمم، وبذلك تترقى البشرية جمعاء وتولّد نوعاً من الغيرة الايجابية للصعود قدما نحو الكمال والعلى. سعيد عقل أصدر كل هذه الأفكار عن كونية الإنسان وكونية مبادئه الأمويّة، أصدرها في وثيقة سماها "الوثيقة التبادعية"، يدعو فيها الإنسان الى الإنتاج المثمر الايجابي والتشارك مع الآخر في الترقي. يدعو فيها الى المطلق والكمال، يدعو الى كنه لُب المادة الصمّاء وتحويلها تحفة ثمينة بإضافة عنصر العقل والعلم.

---

[١] عقل، مقابلة م. س.

سعى سعيد عقل الى الكونية لكنه ظل دوما محافظا على الروح اللبنانية في تطبيقاته اليومية لمبادئه الأمّوية. من هنا وقوفه في وجه الوجود الفلسطيني الذي اعتبره خطرًا على الروح اللبنانية، لأن العدد الكبير من الفلسطينيين الذين هم أغراب خرّب الديموغرافيا[1] وغيّر وجه الهوية اللبنانية. وكذلك دعا الى محو إسرائيل من الوجود لأن علّة وجود إسرائيل منافٍ لعلة وجود لبنان[2]، فالانفتاح اللبناني وتقبّل الآخر ينافيان عنصرية إسرائيل وأحاديتها. كان سعيد عقل مدركًا لخطر العدد من جهة، وهذا ما لاحظناه في موقفه من الفلسطينيين، والخطر الفكري وهذا ما لاحظناه في عدائه لإسرائيل. كان سعيد عقل يفرق أيضاً بين شعب ما على رقعة جغرافية غير رقعته وبين الوجود العسكري، لذلك كان يقول بأن تركيا احتلت لبنان اربع مئة سنة وذهبت ولم تترك سوى أقلية قليلة ذابت في رحاب لبنان، بينما الشعب يبقى ويصبح مع الوقت من نسيج المجتمع ويغيّر هويته. من جهة ثانية، المجتمع الدولي لا يقبل باحتلال عسكري مهما طال الزمن ولكنه في المقابل لا يقبل بتهجير شعب استوطن وطنًا آخر مهما كانت الأسباب. لذلك رفض وجود الشعب الفلسطيني في لبنان وكان واثقاً بجلاء الجيش السوري عن أرض لبنان مهما طال الزمن[3] .

دعا سعيد عقل الى الكونية في مبادئه لسبب بسيط هو ان الإبداع ليس ملكاً لأحد، بل هو مُلك كل مُفكر عاقل مغامر في بحر المعرفة والعلم، لكنه في الوقت ذاته دافع دفاعاً شرساً عن لبنان وخصوصيته الفكرية والحضارية والجغرافية (رفض التقسيم في عزّ ارتفاع أصوات الدعوى الى التقسيم).

٣- ديمومة هذه الأمّوية واستمراريتها

الدولة الوطنية كما هي الآن في القانون الدولي، نظام سياسي ابتكرته أوروبا ومرّ بمراحل وتحولات كثيرة قبل أن يفرض نفسه بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر الميلاديين على مستوى أوروبا كلها. وبعد ذلك امتد هذا النموذج الى القارة الأميركية بعدما صارت هذه القارة فضاء للثقافة الأوروبية التي سهلت توطين هذا الشكل من الدولة. وبعد ذلك امتد نموذج الدولة الوطنية الى الامبراطوريات المجاورة وحتى البعيدة عن أوروبا، والتي صارت ضحية القوة والتأثير المتناميين للنموذج الأوروبي (تركيا العثمانية، إيران، سيام، اليابان...) غير أن الموجة الأكثر أهمية من الناحية الكميّة هي موجة التحرر من

---

[1] الديموغرافيا هي علم وركيزة مهمة من الركائز التي تسيّر سياسة البلدان، وبما أن سعيد عقل هو ابن العلم فلقد اعتمدها في فكره ومبادئه. مقابلتي مع ماري روز أميدي في ٢٥ أيول ٢٠١٧.

[2] عقل، لبنان، معضلات وقوى، م. س. ص ٢٦٥

[3] عقل مقابلة، م. س.

الاستعمار في آسيا وإفريقيا خلال عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، حيث ستنسخ المجتمعات المستقلة النموذج السياسي الغربي[١].

مع إنهيار حائط برلين وإنتشار العولمة خبت نجم الأفكار الأمّوية لعقود من الزمن. ثم نصل إلى يومنا هذا لنشهد من جديد عودة هذه الأفكار إلى الظهور في العديد من أمم ودول العالم. تبقى الأفكار الأمّوية في صراع دائم وسعي حثيث يومي لتأكيد الذات وإثبات الوجود. فهي تصطدم بتحديات مصيرية ثلاث، الأولى بنياني داخلي وهنا نقصد تأكيد شرعيتها واستمرايتها تجاه ذاتها. والثانية خارجية ونقصد هنا إثبات ذاتها مقابل بقية الأمم والثالثة عابر للأمم أي العولمة. أمويّة سعيد عقل لا تشذ عن هذه القاعدة وهذا ما سندرسه في هذه الفقرة.

من دون أدنى شك نشهد اليوم قبولاً بنهائية الكيان اللبناني من قبل كل أطياف الشعب اللبناني، وهذه هي الخطوة الأولى من مسيرة الأمة اللبنانية. في علم السياسة هذا ما نسميه إرادة العيش معاً أو عملية العقد الإجتماعي. الخطوة الثانية هي الشعور بالتمايز الحضاري عن المحيط، وهذا ما نلمسه من كل الأفرقاء اللبنانيين، فلبنان بكل فئاته لم يظهر فيه سابقاً وعي عميق لهويتهم الوطنية المشتركة مثلما هو حاصل اليوم... والواقع أن الأمر لم يكن كذلك عام ١٩٢٠ عندما تأسس لبنان كدولة ذات سيادة تحت الإنتداب الفرنسي[٢]. هذا ما يؤكده أيضاً الصحافي الأستاذ رفيق خوري في الحديث الذي أجريته معه[٣]، إذ يعتبر أن القومية العربية (التحدي الثاني) أظهرت فشلها بدليل فشل كل مشاريع الوحدة التي تبنّاها وأطلقها بعض المسؤولين العرب، من سورية مصرية، إلى سورية عربية (البعث) إلى مصرية يمنية... فالقومية العربية أصبحت بفعل الحنين والنوستالجيا، بينما الأموّية اللبنانية تحققت بفعل الواقع نتيجة تأطيرها في الدولة اللبنانية. حتى أننا نرى دول الخليج العربي (حيث مرتع العروبة ومهدها) تقيم ما بينها مجلس تعاون مستثنية بقية الدول العربية، وتحصر التنسيق والتعاون في ما بينها، وكأني بها تعيد العروبة إلى حدودها الطبيعية الحقيقية أي الجزيرة العربية.

أما بخصوص لبنان فحدّث بلا حرج عن المفكرين اللبنانيين الذين ما انفكوا يكتبون ويحاضرون عن الهوية اللبنانية المميزة عن بقية الهويات المحيطة بنا. فمن الأب سليم عبو الرئيس السابق لجامعة القديس يوسف في لبنان الى الأب كميل مبارك الرئيس السابق لجامعة الحكمة في لبنان، الى الأب يوسف يمين ناهيك بالمؤرخين هيام ملاّط وأنطوان خوري حرب وعصام خليفة وأعمالهم المتواصلة في

[١] (سعيد) الصديقي، هل تستطيع الدولة الوطنية أن تقاوم تحديات العولمة؟ منشور في **العولمة والنظام الدولي الجديد**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠، الطبعة الثانية ص ١١١.

[٢] (كمال) الصليبي، **بيت في منازل كثيرة**، دار نوفل، الطبعة الثالثة، بيروت ٢٠٠٠، ص ١٤

[٣] (رفيق) خوري، مقابلة بتاريخ ١٥ آب ٢٠١٧

كشف تاريخ لبنان ولا سيما فيما يختص بتمايزه عن بقية المنطقة. فالأب ايلدوفونس سركيس مثلا من جمعية مدارس الأخوة المسيحية في لبنان خصص العديد من كتبه لدراسة العباقرة والمبدعين اللبنانيين في التاريخ الذين غيروا وجه العالم، اضافة الى الأرث الحضاري العالمي للعديد من المدن والمناطق في لبنان وكأني به يشرح ويؤكد نظرية سعيد عقل.

أن نطرح مسألة الهوية، سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الشعوب والأمم، يحدث كلما كان هناك تحدّ أو تهديد خارجي أو شعور بالتهميش والإحباط، فهذا طبيعي جدًا. إنه أسلوب من أساليب تأكيد الذات، الفردية أو الجماعية، وإعادة ترتيب علاقاتها بمحيطها من أجل إثبات الوجود وتحقيق الاستقرار والطمأنينة[١].لكن في المقابل قد يكون من أكثر المسائل صعوبةً تحديد مسألة الهوية تحديداً موضوعيّاً وشاملاً، ان هذا التحديد يتقاطع مع حقول معرفيّة عدّة: الفلسفة، وعلم النفس، والسياسة والتاريخ والانتروبولوجيا، والديمغرافيا وغيرها. ولا عجب، من جهة، أن يبقى التساؤل عن الهويّة حاضراً في ذهن الأفراد والجماعات ووعيهم. ولا عجب، من جهة أخرى، في ألا تتطابق آراء جماعة واحدة أحياناً حول تحديد هويّتها. ذلك أن الهويّة، بطبيعتها، لا تكون جوهراً قائماً، ثابتاً، محدد المعالم والقسمات.إنها حقيقة، لكنّها حقيقة جدليّة. فما هو الثابت وما هو المتحوّل في هويّة شعبٍ ما؟ ما هو الأساسيّ وما هو الثانويّ؟

وقد يكون أن الشعوب ذات التاريخ الحضاريّ العريق تعاني أكثر من غيرها أزمة الهويّة، لَتَعاقُب الثقافات والإنجازات الحضاريّة عليها. وكذلك الأمر بالنسبة الى الأقوام الذين تتعدّد فيهم الأديان والمذاهب أو الإثنيّات[٢].

التحدي الثالث هو تأكيد استمرارية مبادئ الأمة وديمومتها مقابل العولمة، فمن جهة تغزو العولمة أهم ركنين في الحياة البشرية، هما الاقتصاد والثقافة، ومن جهة ثانية، بما أن العولمة تعمل على فرض نفسها كـ "هوية جامعة" فإنها تستهدف الهويات الوطنية والقومية لتتيح بروز " الهويّات الضيقة" (الفردية والإثنية والطائفية)، وهي التي يسهل استقطابها، وبالتالي دمجها في "اللاهويّة العولمية"، أو بمعنى آخر في الليبرالية المتوحشة اقتصاديًا وثقافيًا[٣].

---

[١] (محمد) الجابري ، **م. س.** ص ٧

[٢] (جيروم شاهين)، **المسيحيّون العرب بين ألفيّتين**، دار مختارات، بيروت ٢٠٠١، ص ٦٢

[٣] الصديقي، م. س. ص ١١٤-١١٩

العلاقة بين العولمة ومسألة الهوية علاقة إشكالية. فما دمنا لا نستطيع أن نحدد بدقة حدود ظاهرة العولمة، الإقتصادية والثقافية والإعلامية (هناك جانب آخر في العولمة هو المتعلق بتقنيات الاتصال والإعلام التي تلغي المسافات الجغرافية والثقافية وتساعد في تعميم المعرفة)...إلخ، ولا أن نرسم لمسألة الهوية إطارًا محددًا لا تتعداه، فإنه سيكون من الصعب وضع منحنيات للعلاقة التي يمكن أن تقوم بينهما. كل شيء ممكن في مثل هذه الحالة. وبالتالي لا نستطيع الوصول في العلاقة بين العولمة والهويّة، إلى نتيجة نشعر معها فعلاً بالاستقرار الفكري.
هناك تياران فكريان متناقضان تماما حول مصير الدولة – الأمّة في ظل العولمة، فمن جهة هناك "غلاة العولمة" المشكّكون بالدولة، وفي المقابل هناك "المشككون في العولمة". بالنسبة إلى غلاة العولمة فهي تعني توسع السوق العالمية، وأن هذه الصيرورة ستقود إلى فقدان الدولة جزءاً مهماً من سلطاتها. علماً أن تيار المشكك بالدولة أو الأمّة ليس جديداً إذ بدأ قبل قرنين، بدءاً بإمانويل كانط مرورا بكارل ماركس، إلى برتران راسل خلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين.

التيار المشكك بالعولمة والمتفائل بمستقبل الدولة الوطنية، فعلى الرغم من إقراره بأن التحولات التكنولوجية غيّرت القواعد الإقتصادية للدول، وزعزعت مشروعيتها، ومنحت الأسواق سلطة عليا على سلطة الحكومات، وبأن التحولات التي طرأت على بنيات السياسة الدولية المالية والإنتاج والأمن والتعليم تعمل على تآكل السيادة شيئا فشيئا في جميع الميادين، إلا أن هذه التحولات لا تعني نهاية الدول، وهذه لن تتلاشى نهائياً، حتى وإن حققت كل شيء. فالسيادة سلطة مستقلة وسامية يُعترف لها في إطار جغرافي لجهاز الدولة بالحق في سن القوانين وإعطاء الأوامر للسكان وضمان تطبيقها باستعمال أساليب القوة والإكراه لاحتكارها "العنف المشروع". وعلى الصعيد الخارجي لا تخضع الدولة لأية سلطة خارجية وتمارس حقوقها الدولية كاملة، ولا يقيد من سلطتها الخارجية سوى التزاماتها الدولية. ولا يمكن فصل بعدي السيادة الداخلي والخارجي أحدهما عن الآخر[١].

مسألة العولمة المعاصرة ليست بجديدة على البشرية، فلقد شهد التاريخ الإنسان على فترات عديدة من العولمة نذكر منها فترة سيطرة الحضارة الرومانية على كافة العالم القديم، وهذا ما عرف بـ "السلام الروماني". حتى ان البعض يعتبر أنه لولا الحرب العالمية الأولى لكانت العولمة قد بدأت منذ تلك الفترة، بسبب الثورة الصناعية التي شهدها القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

---

[١] الصديقي، م. س. ص ١١٤–١١٩

هذا الجنوح نحو السيطرة وعلى كافة الصعد من قبل العولمة، حدى بالعديد من الدول من الوقوف في وجهها قدر المستطاع، ومن إعادة التركيز على الهوية الذاتية الثقافية والإقتصادية والفلسفية، نأخذ مثلا بريطانيا التي رفضت التنازل عن العملة الوطنية والإنضمام إلى منطقة اليورو، إذ اعتبرت أن العملة رمز وطني والوحدة الأوروبية يجب ألا تطال الرموز الوطنية لديها، لم تكتفِ بذلك بل تحالفت مع أوروبا ضد أميركا عندما اتخذت الأخيرة إجراءات حمائية في الميدان التجاري[١]. صحيح أننا لم وربما لن نشهد فترة من التقهقر لمفهوم العولمة، لكننا دون شك نشهد عودة لمفهوم الأمّة مع ما يرافقه من إعادة الإعتبار للهوية الوطنية بكافة أوجهها.

المسألة لم تنتهِ عند هذا الحد من النظريات والمبادئ العامة. واذا نزلنا إلى أرض الواقع ودرسنا الموضوع بالمجهر الدقيق وليس بالعموم نرى مفارقات تثيرها ظاهرة العولمة بأوجهها المختلفة من اقتصادية وثقافية الى السيادة والاتصالية. هذه المفارقات يُعبر عنها بـ"استفزاز" الهويات المحلية بمختلف روافدها وتحفزها للمقاومة أو الانكماش أكثر من ذي قبل داخل طائفية مغلقة، في حين يدأب صنّاع العولمة على اجتثاث كل التعددات والاختلافات، لكونها أضحت عوائق أمام توحيد "القرية العالمية" في أنماط إنتاجية واستهلاكية متشابهة.

وبديهي أن القاعدة تهيأت حالياً لظهور نزعات مقاومة أيديولوجية تقودها أقليات أكاديمية تبحث عن سبل التوفيق بين النزعة الأدواتية الليبرالية، وبين ضرورة احترام التعدديات المختلفة للمجتمعات الإنسانية، ويعرف هذا الطرح بنظرية "العيش معا". بينما يرفض قطاع آخر من الإنتلجنسيا هذا الطرح التوفيقي، ويرى في كل من العولمة وحركات الهويات الجهادية ذات الأصول الدينية المتطرفة تحطيماً للديمقراطية ونكوصا إلى المشكلات الما قبل الوطنية والبائدة (حسب بنجامين بربار مثلا)[٢].

بعدما كان الخطاب السياسي يتركز تالياً على مبدأي التحرر القومي ومحاربة الاستعمار، بدأ يتحوّل في شكل بارز من المستوى السياسي الى المستوى الأيديولوجي، من الدفاع عن حق تحرير المصير وإقامة الدولة القومية المستقلة والسيدة والحرة، الى الدفاع عن الهوية الثقافية للجماعات والمجتمعات على حد سواء. وتفسير هذا التحول ليس صعباً. فبعدما جمعت الشعوب الواقعة تحت الاستعمار أو الإنتداب كل طاقاتها المادية والمعنوية، واستطاعت ان تجليهما عن بلدانها عسكرياً، وجدت

---

[١] الجابري ، **م. س.** ص ٢٤– ٣٢

[٢] **(**مصطفى**)** بن تمسك، العولمة وتنامي خطاب الهوية، منشور في **العولمة والنظام الدولي الجديد**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠، الطبعة الثانية ص١٣٣ – ١٤٣

نفسها وجهاً لوجه أمام حضارة العولمة، وهي حضارة تهدد بفعل ثقافاتها المختلفة وانجازاتها التكنولوجية بتدمير القيم التي كانت في أساس الوحدة الأمّوية للشعوب، أي هويتها الثقافية. هذا يعني ان الشعوب المستَعمرة سابقاً بدأت تشعر بأن رحيل الاستعمار عن بلدانها لم ينه خطره عليها، بل ان هذا الخطر لا يزال قائماً بفعل الضغوط الإقتصادية والثقافية (حتى لو وضعنا جانباً الضغوط السياسية والعسكرية). وهكذا تحوّل الصراع من سياسي بين الدول الى صراع على هوياتها وانتماءاتها الثقافية، أي على حقها في الوجود والاختلاف. وتعمّم هذا التوجه داخل دول العالم الثالث وحتى داخل الدول الغربية ذاتها، حين أخذت الأقليات (العرقية واللغوية والمذهبية) تدافع عن هوياتها وتعلن ثوراتها في وجه الدولة–الأمة (L'état-Nation)، ثم جاء انفجار الاتحاد السوفياتي وأحداث يوغوسلافيا ليزيدا من هذا التوجّه[١].

من هنا نشهد عودة الى الفكر الأمّوي أو بمعنى آخر عودة الى الاهتمام بالأنا من الناحية الإقتصادية والسياسية والثقافية والفكرية، وعدنا في الشرق الأوسط نشهد إعادة الحديث عن الأمة الكردية والطورانية والفارسية والعربية. إذاً لا خوف على عودة الفكر الأمّوي في العالم لا سيما بعد مرور زمن كافٍ لاختبار العولمة المناقضة لها ودرسها.

حلّت العولمة متزامنة مع خروج لبنان من حرب على أرضه وعرّضته لآتون من النار التي صهرته في أكثر وأكثر في أمّة متجانسة أكثر من ذي قبل، خاصة في نهائية كيانه ووحدة شعبه (العقد الإجتماعي). وبما أن أمّوية سعيد عقل كانت أساسها الفكر والثقافة، فإننا نعتقد بأن العولمة لم تأخذ من فرادة لبنان، لأنه لتّوه خارج من أحداث صهرته وبلورته في مفهوم الأمّة. دون أن ننسى إنفتاح لبنان التاريخي على ثقافات وحضارات العالم دون أي عقدة نقص أو دونية,

وهنا أيضا نختصر ولا نتوغل بعيدا في الشرح وإظهار الحجج والمراجع لكي لا نخرج عن الموضوع الرئيسي. لكن المؤكد أنه على الصعيدين العالمي والإقليمي نشهد عودة حثيثة الى مفهوم الهوية الخاصة والمتقوقعة عند البعض، والمنفتحة الرحبة عند البعض الآخر مثال سعيد عقل

---

[١] (بنديكت) أندرسون، منابع الوعي القومي، في **القومية: مرض العصر أم خلاصه؟** دار الساقي، بيروت ١٩٩٥، ص ٣١

فصل الثاني:

تجسيد أمّوية سعيد عقل في الحياة العملية اللبنانية.

النتاج الفكري يبقى ضمن إطار الأفكار والمبادئ ما لم ينزل الى ارض الواقع ويتجسد في أعمال حسّية، محتكًا مع التطبيق والواقعية، متفاعلا مع الطبيعة البشرية، مظهرا نقاط قوته وضعفه. هكذا عبر تاريخ البشرية كان لكل فيلسوف أو مطلق أفكار مريدون يسعون الى تطبيق نظرياته على ارض الواقع، وفي العلوم السياسية نسترجع دائما الماضي ونبحث عن مفكر ذكر هذه الفكرة او تلك في معرض إضفاء المرجعية والقيمة لأي عمل سياسي أو قانوني. ففي الماضي القريب كتب الفيلسوف الشيوعي كارل ماركس ثم جاءت الثورة البولشيفية في روسيا لتطبق أفكاره ومبادئه. وقبله العديد، من أفلاطون الى ثوار الثورة الفرنسية والفيلسوف جان جاك روسو، مرورا بهوبس، من دون ان ننسى الفيلسوف الألماني هيغل ومبادئ القومية الألمانية.

ان الفكر يسبق العمل ويضع له أساسات نظرية. نبدأ بفكرة وننتقل الى الورق فتتم عملية الإضافات والتحسين والسبك وشدّ أواصر الأفكار وإعلاء مداميك هذه العمارة الفكرية حتى تصير كاملة مكتملة، متناسقة ومتجانسة بعضها مع بعض ومتسقة في نسق فكري وخط بياني متسلسل، وأخيرًا ننتقل الى التطبيق.

سعيد عقل لم يشذّ عن هذه القاعدة، فهو الشاعر المنظّر في الفكر والشعر والأدب. استطاع أن يبحث ايضا في الفكر السياسي الأمّوي ويصّدر عمارات فكرية عمل على نشرها من الستينات وحتى أواخر التسعينات من القرن العشرين.

في هذا الفصل نحاول درس الناحية التطبيقية لهذه الأفكار من خلال السياسة اليومية والأحزاب التي أسسها أو أثّر فيها، وسوف ندرس بعض أفكار هذه الأحزاب ومبادئها. كما سوف نتتبع فعل تأثيره على مرسح الرحابنة و أثر جائزتيه على الفكر اللبناني.

١–تجسيد الأمّوية اللبنانية عند سعيد عقل في الفكر و السياسة. أو "القومية اللبنانية" حزبًا

لم ينتَمِ عقل إلى أيّ حزب لبنانيّ، مع العلم ان الكثير من الأحزاب ادعت انتسابه اليها من دون ان تكون هناك اي وثيقة رسمية بذلك، فالحزب السوري القومي الاجتماعي يدّعي إنتماء عقل إليه، لكن سعيد عقل يجزم جزما قاطعا انه لم ينتمِ البتة الى هذا الحزب. وأكد ذلك خلال حديث إلى جريدة "النهار"، موضحاً أنه لم يعرف أنطون سعادة ولم يلتقه. وبخصوص نظم نشيد الحزب يوضح أن قوميا سوريا من زحلة اسمه وديع نصر الله كتبه وقصده طالبا أن يُصلحه، وبعدما اعتمدوه في الحزب نسبوه الى سعيد عقل.[١] فالذي نشر قصيدة "فخر الدين" سنة ١٩٣٥، وسنة ١٩٤٤ مأساة "قدموس" لا يمكن له ينتمي إلا لـ لبنان العظمة دون سواه.

في المقابل كانت له علاقات مميزة برجالات سياسية مستقلين أمثال رياض الصلح رئيس حكومة لبنان في عهد رئيس الجمهورية بشارة الخوري، وهو يروي حادثة عنه أثّرت في نص البيان الوزاري الأول في عهد الإستقلال: "كان لي لقاء مع رياض الصلح عام ١٩٤٣ وكان رئيساً للوزراء بالتكليف. وتحدثنا عن البيان الوزاري فقال لي انه سيكتب في مقدمته بأن لبنان هو بلد عربي، فقلت له لبنان مثل الله لا ينعت إلا بذاته. وهكذا كانت ولادة عبارة ان" لبنان ذو وجه عربي يستسيغ الخيّر النافع من حضارة الغرب" في البيان الوزاري الاستقلالي الأول"[٢].

كان أيضًا على علاقة سياسيّة وفكريّة مميّزة مع ريمون إده عميد حزب الكتلة الوطنية ويذكر ايغور تيموفييف في كتابه عن كمال جنبلاط أن سعيد عقل، رغم أنه لم ينتمِ الى حزب الكتلة " تكلم باسم الكتلة الوطنية ووضع النقاط على الحروف وفاجأ الجمهور بمطلب إطاحة الحكم"[٣] في مهرجان دير القمر الذي كان مناهضاً لتجديد الولاية للشيخ بشاره الخوري،.

حاول سعيد عقل إقامة الحركات السياسية الخاصة به، ففي بداية السبعينات من القرن العشرين أسّس "اتّحاد الطلّاب القوميّين اللبنانيّين". كان هدف هذا الاتحاد الوقوف في وجه التيّارات اليساريّة والعروبية في لبنان.

---

[١] النهار ٩ أيار ١٩٩٢

[٢] ديب، م. س.، ص ٤٦٤

[٣] (ايغور) تيموفييف ، **كمال جنبلاط الرجل والأسطورة**، دار النهار ، بيروت ٢٠٠١، ص ٢٠٩

قبل ذلك، وفي عام ١٩٦٩ أسّس سعيد عقل "تجمع التجدّد اللبناني" ولم يعمّر كثيراً. ثم أسس الحركة "التبادعيّة اللبنانية"، عام ١٩٧٦، التي ضمّت عددًا من الشخصيات والفاعليات من مختلف الطوائف والمناطق اللبنانية. لكنها بقيت ضمن النطاق الفكري النخبوي المحض[١]. مبادئ هذه الحركة نشرها في وثيقة سماها "الوثيقة التبادعيّة"، وشاءها "رؤيا عن الله والكون، عبر نظام سياسيّ وفنّ حياة"[٢].

ألهم تأسيس حزب "حرّاس الأرز"[٣]. علما انه أيضاً لم يحمل البطاقة الحزبيّة لهذا الحزب، لكن الرعيل الأوّل من المنتسبين كانوا يقسمون اليمين أمّامه. اعتبروه اعضاؤه بمثابة الأب الروحي للحزب.

من سياق الأحداث والكتيبات التي كانت تصدرها قيادة حزب حراس الأرز يظهر بوضوح ان سبب إنشاء هذا الحزب هو الدفاع عن لبنان أمام خطر الوجود الفلسطيني. يقول اتيان صقر:"عندما انطلقت مؤامرة على لبنان سنة ١٩٧٥، نزل شباب الحزب الى ساحة القتال تحت اسم حرّاس الأرز، تحت شعار مأثور: تزوجت الكلمة على البندقية فولد "حرّاس الأرز"[٤]. ويذكر كتيّب لـ "حرّاس الأرز" ان الحرب التي اندلعت عام ١٩٧٥ كانت"لبنانية – فلسطينية وليست لبنانية – لبنانية"، أو طائفية او بين يمين ويسار[٥].

أما أهداف حرّاس الأرز "فنختصرها بأنهم يؤمنون بالله والإنسان ولبنان. وهذا الثالوث الأيديولوجي قائم على صفات الكونية الأساسية الثلاث، وهي المحبة والمعرفة والحرية. وعلى الصعيد السياسي هم حركة علمانية يؤمنون بالأمة اللبنانية من دون تمييز بين طائفة وأخرى، وبأن الشعب اللبناني بكل فئاته الموجودة على الجغرافية اللبنانية ذات المساحة الـ ١٠٤٥٢ كيلومتراً مربعاً على الأقل، تشكّل أمة لبنانية واحدة عمرها سبعة آلاف سنة وجودًا إنسانيًا وحضاريًا متواصلاً، وتحمل تراثًا عظيمًا ساهم في نشوء الحضارة العالمية وتعميمها بدءًا بالحضارة الأغريقية ومنها الى الحضارة الرومانية وبعدها الى الحضارة الغربية. ويقولون بأن حضارة الغرب تعود جذورها الى الحضارة اللبنانية – الفينيقية. ومن

---

[١] في مقابلة مع الصحافي الاستاذ حبيب يونس م. س.

[٢] عقل، **الوثيقة التبادعيّة**، م. س.

[٣]بتاريخ ١٩-١١-١٩٧٦، أعطى وزير الداخلية العلم والخبر رقم ٩١ الذي ينص على تأسيس الجمعية المعروفة باسم: «حركة حراس الارز» مركزها بيروت وغايتها: حركة سياسية اجتماعية، ثقافية، رياضية بهيئة إدارية مؤلفة من المدعوين: إتيان قيصر صقر، شارل عقل، رفيق بركات، شارل نصري بحري، صلاح رعد الهاشم. وأن شارل عقل هو ممثل الهيئة تجاه الحكومة. الموقع الرسمي للحزب.http://www.gotc.org/main_page.htm

[٤] ديب، **هذا الجسر العتيق**، م. س. ص ٤٥٠

[٥] حزب حراس الأرز، **الكلمة ...والسيف**، دون ذكر تاريخ أو دار النشر، ص ٣٣

أهداف الحزب أيضًا طرد جميع الغرباءالذين حملوا السلاح ضد لبنان والطارئين الموجودين على أرضه وفي مقدمهم اللاجئون الفلسطينيون والغزاة السوريون وغيرهم، والإبقاء على نسبة أربعة في المئة فقط من الغرباء الذين تحتاج لهم المصلحة اللبنانية... ثم إقامة الدولة العلمانية البعيدة عن المحاصصة الطائفية، واعتماد اللغة اللبنانية لغة الدولة الرسمية، وقبل كل ذلك سحب لبنان من جامعة الدول العربية واستعادة هويته الأصلية غير المنعوتة. أما نظام الحكم فيجب أن يكون حرًا ديموقراطياً رئاسياً مطابقاً لأحكام دستور العام ١٩٢٦ والغاء نظام الطائفية واعتباره نظامًا لقيطًا ولد من أبوين غير لبنانيين"[١].

مساهمات سعيد عقل واضحة في مبادئ حزب حرّاس الأرز التي تخلط الشاعرية بالفلسفة الفكرية ولا تبدو عادية مقارنة بمبادئ أي حزب آخر: ان حراس الأرز قد أفعمهم الايمان بالله وبالإنسان والحرية ولبنان، لبنان الماضي والحاضر والمستقبل. اما المستقبل فيقوم على "تحرير لبنان من الفلسطينيين، كل الفلسطينيين وتنظيف لبنان من الغرباء الذين عملوا ضد مصلحة لبنان، والمباشرة بتحقيق المشاريع الحياتية، ومن هذه المشاريع: التعليم المجاني المتخصّص ومحو الأميّة، تغيير المناهج التربوية، التطبيب المجاني، تأمين العمل للجميع، بناء جيش عملاق، إلغاء قانون تملّك الأجانب واسترجاع الأملاك المبيعة، فصل الدين عن الدولة، تحكيم العلم، تحقيق المشروع الأخضر بخمس سنوات، حل الأحزاب الموالية للخارج، تشجيع الصناعة الخفيفة، إقرار موازنة ضخمة للبحوث العلمية ومصادرة الأدمغة اللبنانية، وتطهير لبنان من المدن التنكيّة، واستقلالية القضاء وسرعة البتّ، وقف عمليات التجنيس وتعديل القانون الانتخابي"[٢].

يسكب سعيد عقل أفكاره عن الأمة اللبنانية في مبادئ وأساسات وأهداف حزب حراس الأرز. فالحزب يقول ويركز "على قوة الصغر في الحجم، فالصغير لا يمكنه أن يقوى بالحجم أو بالعدد، بل بالقيمة والتمايز. أخذ ينقب في تاريخ هذا البلد الصغير في المساحة، لبنان، عن سر عظمته في بناء الحضارة العالمية، إنطلاقًا من أبجدية جبيل التي أعطت كل أبجديات العالم أصولها، الى هندسة معمارية في بعلبك، لا تزال معجزة، تتحدى كل الهندسات المعمارية الحديثة، الى هندسة الفكر التي لا تزال تكشف صحائفها المحفورة، عمّا تكتنزه من أساطير وملاحم، الى الإرتقاء في التفكير من انشغالات الحياة وهواجسها، الى سموّ الروحانيات... وأعمال فنيّة راقية ورائعة من كل لون تبلغ الماورائيات، لاستكشاف الإله الخالق، وخلود النفس والتعبد دوما لله"[٣].

---

[١] حزب حراس الأرز، **الكلمة ...والسيف**، م. س.، ص ٣٣

[٢] حرّاس الأرز، **من عقيدة حرّاس الأرز**، م. س. ص ٢١

[٣] حزب حرّاس الأرز، **لبيك لبنان**، دون ذكر تاريخ أو دار النشر، ص ١٢-٣٧

يركز حزب حراس الأرز على أن الحرية والإنسان لا ينفصمان. فلا حرية الاّ في كمال الإنسان. ولا إنسان حقاً الاّ الإنسان الحر". كما أن الدولة "هي جسم حيّ"، أن يكون لبنان موجوداً بالفعل فهذا يعني أنه "يتميّز عن غيره تمييزاً قاطعاً، والاّ لما وجد بالفعل". فاذا كان مجرد امتداد للغير فلا يعني شيئاً مميزاً عن الغير وعندئذ يسقط عنه وجوده المستقل. الاّ ان لبنان الكيان المستقل في ذاته لم ينوجد بالفعل الاّ لوجود خصائص فيه "تحدده في ذاته وتميّزه تمييزاً حاسماً عن الغير". ولبنان لم يستمر (ولن يستمر) الاّ لوجود قيم تحدّد مصيره في المستقبل[1]..

في إحدى المقابلات معه يذكر سعيد عقل: "كلّ من كان ضدّ لبنان أنا ضدّه، وأنا منسجم مع مبادئي في الدفاع عن لبنان. أنا لم أكره أحدًا لأنه ليس لبنانيًا بل أبني موقفي من حرصي على لبنان. خلال سفراتي المتعدّدة خارج لبنان كان المحبّون يعرضون عليّ أن التقي وزراء ومسؤولين في دول عربية. وكنت أرفض وأقول لهم أنا لا أتعاطى السياسة. أما في بلدي فأنا أتولّى الدفاع عن لبنان ولا أحتاج الى مساعدة أحد. نعم أنا ماروني ورئيسي الديني هو البابا، ومع ذلك أرفض تدخل البابا في شؤون لبنان."

ويردف قائلا: "أعرف ما يجري للشعب الفلسطيني. إنه شعب مظلوم مغلوب على أمره في بلاده، أما في لبنان فهم شهروا سلاحهم عليه ومن هنا مقاومتنا لهم على أرضنا. نريد اليوم أن نخفّف من آلام الشعب الفلسطيني لا أن نزيد عليه في أرضهم. أما عن لبنانيتي فأقول إني دعوت اللبنانيين أن يكونوا لبنانيين ولكني لم أقل أن لبنانيتهم تعني كره بقية الشعوب. يجب ألا تكون الكراهية للآخر مفتاح الوطنية عندنا. يكفي أن يكون اللبناني لبنانيًا مثلما الفرنساوي فرنسيًا من دون أن يكره أحدًا. ولكني طبعًا لا أرضى أن يقول المواطن عندنا: أنا لبناني عربي، أو لبناني عثماني أو لبناني فرنسي. أرفض هذه النكهة الإضافية"[2].

رفض سعيد عقل تسمية حرب لبنان بـ "الأهلية" وهي عبارة استعملتها دعاوى أجيرة في لبنان باعت نفسها لقوى خارجية. ثم بدأت الصحف ووسائل الأعلام تستعمل هذه العبارة كأن اللبنانيين كانوا يذبحون بعضهم البعض لا لشيء. أما حقيقة ما حدث فهي ان الجيش اللبناني كان يخوض حربًا ضد الفلسطينيين أوائل السبعينيات. وفي أيار ١٩٧٣ حقق الجيش تقدّمًا وكانت مواقعه تخوض معركة قرب المدينة الرياضية في بيروت وتكاد يسيطر على المخيمات. وفجأة أمر قائد الجيش اسكندر غانم بوقف المعركة. فقصده لأنه كان يعرفه منذ صغره. وقال للجنرال غانم بنبرة: يا غانم ليش وقّفت المعركة؟

---

[1] (جورج) سكاف، **مجلة الجريدة**، العدد الثاني، تموز ٢٠١١، ص ٣٤-٣٥

[2] (كمال) ديب، **هذا الجسر العتيق**، م. س. ص ٤٥٣

فأجاب: "شوف يا إستاذ سعيد! انت صديق لرئيس الجمهورية (سليمان فرنجيه) ولقد اصدر لي فخامة الرئيس أمرًا واضحًا بوقف القتال وأنا في الجيش عليّ أن أنفّذ أوامر السلطة السياسية". وهذا أوصلنا الى بداية الحرب على لبنان عام ١٩٧٥.
ما إن دخل عام ١٩٧٦ حتى سبقنا الظرف وأصبح الفلسطينيون قوة لا تُردّ. حتى أن ياسر عرفات صرّح يومها أنه لن يسمح للجيش اللبناني بدخول الجنوب وحينها كان رئيس الجمهورية هو الياس سركيس ولم يستطع عمل شيء. زعل عقل من هذا الأمر خاصة انه لم يوجد مسؤول لبناني يردّ على تصريحات عرفات. فكتبت مانشيت حادة في جريدة "لبنان" عنونتها: "أسكت يا قلعوط!" واتهمت عرفات فيها بأنه عميل لإسرائيل وأن ثمة ضابطاً لبنانياً يعرف عن عرفات هذا الأمر منذ أيام فؤاد شهاب[١].

هكذا نرى أن سعيد عقل أسس حركات طلابية أو حزبية عدة، الى أن وصل الى حزب حراس الأرز وكان ملهمه وسكب فيه معظم أفكاره. وبقيت علاقة سعيد عقل مع هذا الحزب عند هذا الحد الفكري فقط.
أدى هذا الحزب دورا في الحرب على لبنان واستطاع الإنضواء ضمن منظومة الأحزاب اليمينية التي عرفت باسم الجبهة اللبنانية، المناهضة للوجود الفلسطيني في لبنان ولاحقا للاحتلال السوري له، ليخرج منها سنة ١٩٨٩ بعدما أن اتخذت قرار السير في طريق المبادرات العربية التي أبرمت مع اتفاق الطائف. انتقل بعدها اتيان صقر رئيس الحزب الى جزين حتى سنة ٢٠٠٠ تاريخ تحرير لبنان من الإحتلال الإسرائيلي ليقيم حتى تاريخه في لارنكا– قبرص. سنة ٢٠٠٥ وبعد شهرين من خروج الإحتلال السوري من لبنان، أصدر إتيان صقر قرارا بتشكيل لجنة قوامها الصحافي حبيب يونس والمحامي ناجي عوده والباحث جوزيف خوري طوق "لتفعيل نشاط الحزب في لبنان."[٢]

دعم سعيد عقل الحكومة الانتقالية سنة ١٩٨٨ بقيادة قائد الجيش آنذاك الجنرال ميشال عون وكانت له زيارات عدة الى قصر بعبدا وأطلق العديد من التصريحات النارية التي لم تخلُ مرة من الفلسفة والشعر والعنفوان والإباء.فهو مثلا من أطلق شعار " يا شعب لبنان العظيم". ومع تنحيّ ميشال عون وسقوط المناطق تحت الإحتلال السوري التي كانت بحماية الجيش اللبناني، انكفأ سعيد عقل عن ممارسة اي دور سياسي علني واكتفى بالأحاديث السياسية مع زواره في بيته وفي مقابلات تلفزيونية وفي محاضرات كان يلقيها تباعاً.

---

[١] ديب، **هذا الجسر العتيق**، م. س. ، ص ٤٥٤–٤٥٥

[٢] نص القرار على موقع حزب حراس الأرز

وصل الى مبتغاه أم لم يصل، الأكيد أنه ترك بصمة عنفوان وكرامة ورجولة في السياسة اللبنانية. وحده المستقبل كفيل بالإجابة.

٢-تجسيد الأمويّة اللبنانية عند سعيد عقل في الكتابة

منذ بداياته كتب سعيد عقل في العديد من الصحف والمجلات اللبنانية. كتب في السياسة والاقتصاد والاجتماع والإحصاءات. بدأ عهده في جريدة "الوادي" الزحلية لصاحبها أندره ألوف، كما كتب في كلّ من: جريدة "البرق" لصاحبها الأخطل الصغير (بشارة الخوري) وفي ''المعرض" لميشال زكور، و"لسان الحال" لخليل سركيس، و"الجريدة" لجورج نقاش و"الصياد" لسعيد فريحة، وجريدة العصر لصاحبها اسعد الياس الغريافي و"السفير" لصاحبها طلال سلمان[١].
الوزير السابق جورج سكاف وصاحب جريدة "الجريدة" أصدر سنة ٢٠١٦ عن دار ضرغام للنشر، كتابًا تحت عنوان "سعيد عقل اليوم اليوم" من ٣٨٠ صفحة من الحجم الكبير يتضمن العديد من مقالات سعيد عقل التي نشرها في تلك الجريدة.

في السبعينيات من القرن العشرين كتب سعيد عقل في جريدة "لسان الحال" التي كانت تصدر ظهراً، وقبض عن كل كلمة نصف ليرة لبنانية، كان أعلى مردود مادي رسمي من مقالة تصدر في لبنان ذلك الزمان.

مقاله الأسبوعي في "الصياد" ونصف الاسبوعي في "لسان الحال" جذبا المثقفين والسياسيين في لبنان وعدداً من رؤساء الدول العربية لتضمينها إحصاءات لا يأتي بها سواه[٢].

بين سنتي ١٩٩٧ و ١٩٩٩ كتب سعيد عقل في جريدة "السفير" بوتيرة ثلاث مرات في الأسبوع. كتب في الاقتصاد مذكراً بأن "لبنان يعاني مشاكل عدة. اقتصاده كان "خربان" بعد ١٦ سنة حربًا ولكن حتى بعد الحرب كانت سورية تحقّق فوائد جمّة من وجودها في لبنان. في تلك الفترة من الزمن كان دخل الفرد في سورية هو حوالي الألف دولار ودخل الفرد في لبنان أربعة آلاف دولار. جاء الى لبنان مليون عامل سوري كانوا يدعمون ملايين من ذويهم داخل سورية. ومدخول لبنان السنوي العام هو ١٨ مليار دولار اميركي وهذا دخل قليل جداً ويجب زيادته لأن لدى لبنان إمكانات تسمح بذلك. على لبنان أن يسعى الى استعمال طاقة أبنائه العقلية والبشرية وإمكاناته الطبيعية. ولو وظّف كل طاقاته لأصبح دخل

---

[١] زغيب، **م. س.** ص ١٠

[٢] المصدر نفسه، ص ١١

لبنان السنوي مائة مليار دولار خلال عشر سنوات. وتحسّر لأن الحكومة اللبنانية تتلهّى بأمور جانبية ولا تسعى الى تنمية الاقتصاد وتوظيف الطاقات. ان سياسة وزيري المال والاقتصاد محدودة. هي عبارة عن "حرتقة" بدخل محدود من خلال نقل مليون من هنا الى هناك فيما الاقتصاد يراوح مكانه والدين العام يرتفع. هؤلاء أطردهم من الدولة لو كنت صاحب القرار. لقد عشنا طويلاً في التراث العثماني وأصبح البلد "مسرق خانة". لو كنت رئيساً للحكومة لما عيّنت وزيراً الاّ اذا برهن انه سيبتكر أفكاراً لتنمية البلاد[١].

في سياق الكتابة والنشر، سنة ١٩٦٧، بدأ باصدار سلسلة كتب باللغة اللبنانية، سماها "أجمل كتب العالم". أصدر منها ستة كتب هي كناية عن أجمل روائع أدبية في العالم صدرت حتى يومه. وكان يتنقل بين المدارس والجامعات محاضرا وناشراً لهذه السلسلة[٢].

سنة ١٩٧٥ وكانت الحرب على لبنان قد بدأت، أراد سعيد عقل أن يمتلك منبرًا إعلاميًا يطل منه على اللبنانيين فاستحصل على رخصة بإصدار جريدة أدبية سماها "لبنان" وحولها بعد ذلك سياسية أسبوعية:

- صدر العدد الأول في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٧٥ والعدد الأخير في ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٠.
- من العدد صفر حتى العدد ١٥ كانت تصدر عن حزب حراس الأرز وبعد ذلك لم نعد نرى أي ذكر لهذا التنويه.
- من العدد صفر حتى العدد ٤٥ كانت تصدر بالحرف العربي واللغة العربية.
- من العدد ٤٦ حتى العدد ٣٧١ كانت تصدر بالحرف العربي واللغة اللبنانية.
- من العدد ٣٧٢ وحتى آخر عدد ٧٠٢ أخذت تصدر بالحرف واللغة اللبنانيين (اي اللاتيني الذي زاد عليه سعيد عقل ميزتين أساسيتين المنطق والأناقة.
- كانت تصدر مرة في الأسبوع، وتتضمن أربع صفحات.

طيلة خمسة عشر سنة وأسبوعيا، كان يكتب فيها سعيد عقل: في اللاهوت والسياسة الوطنية اللبنانية والشرق الأوسطية والدولية، وفي الاقتصاد والاجتماع وتاريخ لبنان. ولا ننسى تحليلاته وآراءه وتعليقاته على الأحداث الجارية. عاونه عدد من المفكرين نذكر منهم الأديبة مي المر وزوجها الفرد المر

---

[١] (كمال) ديب، **هذا الجسر العتيق**، م. س. ص ٤٥٤-٤٥٥

[٢] (رفيق) روحانا ، **سعيد عقل بيدر مجد وجمال**، منشورات جامعة اللويزي، بيروت ٢٠١٢، ص ٢٩

ورفيق روحانا وجيلبير خليفة وموريس عواد والأب اتيان صقر. وكانت تديرها تحت إشراف سعيد عقل استاذة الرياضيات ماري روز أميدي.

نستطيع القول إن جريدة " لبنان" كانت لسان حال سعيد عقل من ألفها الى يائها، بثّ فيها معظم أفكاره بدءاً باللاهوت وصولاً إلى كافة مجالات الفكر. ردّ فيها مرارا على ياسر عرفات ورفض دخول الجيش السوري الى لبنان. وفيها أعلن أن موازنة لبنان صغيرة جدا أمام عظمة لبنان، وكتب مجد التاريخ اللبناني مدعمًا كلامه بآراء علماء تاريخ أجانب ولبنانيين، وفيها كتب كيف يتصور لبنان الأمة لو قيّض له أن يحكمه.

في هذه الفقرة حاولنا بقدر ما يسمح لنا المجال والهدف أن ندرس كيف جسّد سعيد عقل مبادئ الأمّة اللبنانية من خلال كتاباته الصحافية. فمنذ عهده الأول لم يترك أي منبر يستطيع من خلاله نشر أفكاره والتأثير في الرأي العام. نحن بحاجة الى دراسة أوسع وأشمل لهذه المقالات وهي دون شكّ تحتوي على الكثير من الأفكار والمبادئ الجديرة بالدرس والبحث.

٣- تجسيد الأمويّة اللبنانية في الغير: مثال الأخوين الرحباني

أثّر سعيد عقل في الكثير من مفكري لبنان والدول المجاورة في الشعر والأدب والفكر والفلسفة واللاهوت والسياسة. حتى أن الصحافي الأستاذ رفيق خوري يذكر أن "سعيد عقل طبع وأثر في جيل وعصر بأسرهما، فكان مُقيم الدنيا ومُقعدها"[١]. ما يهمنا في هذه الفقرة أن نذكر كيف أثّر سعيد عقل في فن الأخوين الرحباني وبالتالي في مرسحهم، وسبر غور الرابط بين هذا الفن وفكرة الأمّة اللبنانية.

مما لا شك فيه أن ما يبقى من تاريخ الأمم وجهدها ويُخلد مع الزمن هو الفن والعلم. وما وصل الينا من اليونانيين والمصريين والأوروبيين يؤكد لنا ذلك.

عرف سعيد عقل هذه الحقيقة المطلقة، فأخذ يعمل عليها من خلال تأثيره في المرسح والأغنية اللبنانية عبر الأولين فيهما، نقصد الأخوين الرحباني.

---

[١] مقابلة مسجلة مع الأستاذ رفيق خوري رئيس تحرير جريدة "الأنوار" ومستشار ومقرب من الرحابنة، في تاريخ ١٥ آب ٢٠١٧

أدرك سعيد عقل أن "للثقافة الشعبية علاقة وثيقة بالهوية الأمّوية لأي بلد، وهذا يصح في لبنان أكثر من أي بلد آخر"[1]، فأثر في الرحابنة، الفريق اللبناني المتصدر للفن المرسحي والغنائي من دون منازع.

سنة ١٩٢٢ استخدمت بعلبك للمرة الأولى لعرض مرسحيّة فرنسية وسط آثارها. بعد ذلك سنة ١٩٤٥ استعملت ثانية لعرض فني برعاية رئيس الجمهورية الشيخ بشاره الخوري وعبر "الجمعية الوطنية لحفظ التراث اللبناني"، وكان سعيد عقل من ضمن المشرفين على تلك الجمعية مع ميشال شيحا ويوسف السودا وفؤاد افرام البستاني[2]، لذلك حين جاء عهد الرئيس كميل شمعون لم تكن فكرة مهرجانات بعلبك بجديدة. ظهر الأخوان الرحباني في مرحلة كان لبنان فيها بحاجة ماسة الى تحديد الهوية الوطنية الجامعة لأبنائه، وبدأت مهرجانات بعلبك أعمالها سنة ١٩٥٧ فكان التزاوج بينهما لتدعيم الهوية اللبنانية من خلال فن الأخوان الرحباني.

أدّى سعيد عقل، الذي ربطته بالمسيرة الرحبانية علاقة دائمة، دوراً في مهرجانات بعلبك بصفته عضواً في اللجنة الوطنية لحفظ الثقافة اللبنانية وتطويرها. هو من أقنع الأخوين رحباني بأن يكتبوا أعمالهما المرسحية باللغة اللبنانية[3].

ومن جهة أُخرى كان للأخوين الرحباني مكتب عمل قرب مسكن سعيد عقل في منطقة حرج الكفوري من بيروت، فكانوا جيران يستقبلان "المعلم" في مكتبهما ويستشيرانه في أعمالهما الكتابية والشعرية والمرسحية[4].

أطلق الرحابنة لقب "المعلم" على سعيد عقل دلالة على عمق تأثيره ودالّته على الأخوين المبدعين وبالتالي على أعمالهما. يذكر الأستاذ رفيق خوري "من دون شك أثر سعيد عقل في الرحابنة"[5] فكتب مقدمات المرسحيات الرحبانية في بعلبك عام ١٩٦٠ **(موسم العز)** و ١٩٦٢ **(جسر القمر)** واعتبر أنَ **موسم العز** هي لبنان نفسه، وخاصة خاتمتها عندما يخاطب رجل طاعن في السن فيروز التي قد تزوجت في المرسحية من تحب، أنهَا ستترك طفولتها وأهلها لتكون مع زوجها في الصحة والمرض والثروة

---

[1] ديب، **بيروت والحداثة**، م. س. ص ٩٩

[2] المصدر نفسه، ص ١٠٥

[3] المصدر نفسه ، ص ١٣٤

[4] **(رفيق)** خوري، مقابلة م. س.

[5] المصدر نفسه

والفقر، وأنَ عليها أن تنشئ أولادها بالمحبة والايمان و"قولي لهم إنَو بعد الله يعبدوا لبنان" وهذه جملة " سعقلية" (نسبة إلى سعيد عقل) بامتياز.[١] ".
هكذا بات مستشارهما الأول، يعترفان بتأثيره على شعرهما والعديد من مبادئهما في الفن والحياة.[٢] فأخذا عنه، بين ما أخذا، أن يغني الرحابنة الشعب والأرض والتاريخ ولا يغنوا الحكام.[٣] "تفاعل الرحابنة مع سعيد عقل من خلال ثقافته وهالته وعطاءاته ومكانته وبنيا عليها"[٤]

ويتابع الأستاذ خوري: " كان مرسح الرحابنة وطنيًا داعمًا للهوية اللبنانية، لكنه غير ايديولوجي، ومن دون شك أخذا عن سعيد عقل لكنهما لم يُؤدلجا مسرحهما كما أدلج سعيد عقل فكره الأمّوي. إضافة الى أخذهما من شعر سعيد عقل العديد من القصائد الوطنية اللبنانية التي غنتها فيروز. الأكيد إنهما كتبا مسرحيتي "فخر الدين" و"جبال الصوان" بتأثير من سعيد عقل." ف"جبال الصوان" كانت كرد فعل على التعدي الفلسطيني على لبنان، وبث رسالة مفادها أن لبنان ما زال بألف خير."[٥] لقد أوصلا الرسالة من دون تكلف، لعامة الشعب وللنخبة، أوصلوا الأيديولوجية الى الجميع بشكل مبسّط وسهل.

ويؤكد الأستاذ رفيق خوري "أن هذا المشروع اللبناني القومي الذي عمل عليه سعيد عقل والرحابنة نجح من دون شك في بث الهوية والروح اللبنانية في الشعب[٦]"

كان سعيد عقل الناطق الأقوى فكرا وشعرا للموجة اليمينية في مقابل الموجة القومية السورية أو القومية العربية أو الشيوعية، فكان سعيد عقل هذا الرد اللبناني على كل هذه الموجات، ومن هذا المنطلق كانت علاقة سعيد عقل مع الرحابنة. كانت الهوية اللبنانية هي العامل القوي الذي شد عقل الى الرحابنة تحت رعاية الجمهورية اللبنانية.
وكان انتقال الرحابنة من جو الفن المصري في بداية عهدهم الى بدع الفن اللبناني بتأثير من جو سعيد عقل على لبنان الفكري ككل.

٤- تجسيد أفكاره حول الأمّة اللبنانية من خلال جائزتيه

---

[١] ديب، **بيروت والحداثة م. س.** ص ١٣٤-١٣٥
[٢] زغيب، **م. س.** ص ١١
[٣] المصدر نفسه، ص ٩٩
[٤] (رفيق) خوري، مقابلة م. س.
[٥] المصدر نفسه
[٦] المصدر نفسه

كيف أثر سعيد عقل من خلال جائزتيه في الكُتّاب والمبدعين اللبنانيين والأجانب في رفع شأن لبنان والبحث عن "الكلمة الملكة" التي قيلت عن لبنان، وبطبيعة الحال كل ذلك كان دعماً للأمة اللبنانية. وكانت الجائزة التي حملت اسمه رعاية للموجة الثقافية في البلاد.

افتُتن سعيد عقل بجمل وعبارات مجدت لبنان عبر الأجيال منذ قديم الزمان (التوراة وأساطير الأغارقة مثالاً) مرورا بالإسلام ووصولاً الى كبار مؤرخين واركيولوجيين في العالم من أوروبيين وغيره. وكل ذلك بهدف تدعيم أسس الأمة اللبنانية عبر خلق حاضر مجيد تفخر به الأجيال اللاحقة، وخلق إرث للمستقبل، وبذلك لا يكون مُنظّراً فكرياً وحسب، بل فاعلاً وبنّاءً في عمارة الأمّة اللبنانية. كان القدوة والمنتج وليس الباحث وحسب، وايضاً كان المتفاعل مع التاريخ والأحداث والمستقبل[١].

في الرابع من تموز سنة ١٩٦٢، أنشأ سعيد عقل بمناسبة عيد ميلاده الخمسين، جائزة شهرية قيمتها ألف ليرة لبنانية يعطيها كل شهر لمبدع من لبنان أو من العالم قدّم أعمالاً وخدمات عظيمة للبنان. استمرت هذه الجائزة حتى ٤ آب ١٩٧٥، حصل عليها ١٦٢ شخصًا. توقفت بسبب الحرب على لبنان. أول من نالها كان المهندس زهدي عبس لتصميمه مئذنة زادت من جمال لبنان، ونالتها شخصيات في حقول الشعر والفن والتصوير والرسم والنحت واللغة والفلسفة والمرسح والهندسة والغناء والرقص والعلم. ولولا ظروف الحرب الدائرة في لبنان لما كانت توقفت. ولا ضير عليها في هذا الوقوف فقد سبق لمؤسسات عالمية، كمؤسسة "نوبل" أن اوقفت منح جوائزها في الظروف القاهرة.

تعتبر جائزة سعيد عقل ظاهرة عالمية لأنه أنشأها من قلمه. فجائزة الف ليرة في ذلك الوقت لهي محترمة من دون أدنى شك. ولقد امتدح المصريون الجائزة بأنها تعادل راتب ثلاثة وزراء في الشهر.
تهافت عدد كبير من رجال الفكر والأدب وحتى المتمولين للحصول عليها، وكذلك عدد من رجال السياسة. تحمس الناس لنيلها أكثر من تحمسهم لنيل جائزة تعلن عنها الدولة وتنشئها. لا بسبب قيمتها المالية بالطبع بل لضخامة ثروتها المعنوية ومن أجل هذه الغاية هم يجودون في ما ينتجون.
قلب سعيد عقل المفاهيم في اعلانه عن الجائزة فبعدما كان الشاعر مداحا، مسامراً ومسلياً ومتزلفاً أصبح يمنح جوائز لرؤساء جمهورية ورجال أعمال.

- لم تكن الجائزة محصورة باللبنانيين.
- لم تكن لطبقة معينة.

---

[١] الأشقر، م. س. ص٢٢-٢٣

- لم تكن مشروعاً خيرياً.
- لم توضع لتثبت شهرة الشهيرين.
- كانت لتشجيع الناشئين ومساعدتهم.
- كانت شاملة كل المواضيع والمواهب ولم تعطَ في حقل معين.
- كانت تعطى لشخص وليس لمجموعة.
- كانت تعطى على "الأثر" من دون اللجوء الى معرفة صاحبه.
- منحت الجائزة لسيدات، لآنسات، لرجال ولأولاد.

استمرت الجائزة أربعة عشر عاما ونصف عام ولم تتأخر يوما عن موعد صدورها وكانت تنشر بواسطة وسائل الإعلام اللبنانية وتسلم في نقابة الصحافة بحضور سعيد عقل ونقيب الصحافة، والفائز أو من ينوب عنه مع لفيف من رجال الصحافة والقلم والأصدقاء.

وكانت للجائزة أمانة حيث يستشير سعيد عقل أصدقاء في منحها ولكن القرار الأخير يعود له.

مُنحت الجائزة ليوسف السودا الذي سبق وذكرنا أنه تأثر به في أمويته، "على المجلد الأول من مذكراته "في سبيل الإستقلال". فقال في براءة الجائزة: "وجاءت آية بساطة وصدق في تأريخ خادم الوطن لنفسه، وهذا أصعب وأشرف ضروب الأدب، ما أُعطي ان يقوم به إلاّ قلائل. منذ عشرات السنين والاجتماع منعقد على أن هذا الكبير هو اللبناني الذي لم يشب بشائبة. وإذ يصدر هذا الكتاب، أو تنشر بالأحرى الوقائع التي يضمها هذا الكتاب يغدو الإجماع متألقا بأبهى نور. هنا تاريخ لجهاد الفكرة اللبنانية، المعاصرة متمثلة برجل، وهنا مدرسة، ثمة كلمات تقول حقا ما لبنان، وكلمات أخرى ومواقف تخلق وطنا". جائزة رقم ٦٤ تشرين الأول ١٩٦٧[1]

سنة ٢٠٠٠، أعاد سعيد عقل مجددا إطلاق جائزته وجعلها هذه المرة أسبوعية يقدمها إلى كاتب عن "كلمة ملكة" عن لبنان. استمرت الجائزة الثانية حوالى أربع سنوات، وكانت قيمتها النقدية مليون ليرة لبنانية. وكان ينشر خبرها في جرائد لبنان ويعلن عن تسليمها في احتفال يقيمه في نقابة الصحافة ومنحها الى مئتين من المبدعين، وكذلك كان لديه أمانه سر أو مجموعة أصدقاء ومعارف يزكّون عنده الجديرين بالجائزة.

---

[1] الأشقر، م. س. ص ٥٥

شغف منذ البداية بالبحث عن جواهر فكرية ترصّع تاج لبنان الحضاري وتدعم الأمة اللبنانية وتكشف للبنانيين قيمة أمّتهم وعظمتها. شغف بلبنان فلم يكتفِ بالتغني والكتابة عنه، بل دفع من ماله في سبيل أفكاره.

حلم هذا المفكّر فاعتبر أن "الحلم هو الطريق الى المجد. الحلم أن توضح شيئاً عظيماً، والحضارة هي تحقيق حلم". ويتابع: "لبنان يولد أيضا بأحلامنا، وفيها ينمو نموّه العظيم ومنها يخاطبنا. من لا يعرفون أن يحلموا لا يعرفون لبنان. لبنان صنعه أناس ليسوا بعائشين على الأرض فحسب بل متآخون مع المغامرة ، متآخين مع الخيال والله، هكذا خلقوا من لبنان أكثر من أرض، إنه بلد الأحلام والإبداع." [١]

---

[١] الأشقر، م. س. ص ٢٥٦ – ٢٥٧

الخاتمة

سعيد عقل هذا النهر الفكري الهدّار، شاعر لبنان الأول من دون منازع كان متعدد العطاء، لم يترك مجالاً فكرياً إلاّ ومارسه من الشعر إلى النثر مرورا بالفلسفة والتربية. كتب ومارس الفكر السياسي. مارس النقد الفنّي والفكري البنّاء الإيجابي من خلال منحه جائزته إلى مبدعين خدموا لبنان. أضاء بذلك على الإيجابي والجميل والعظيم، وأشاح النظر حتى إنه لم يذكر البشاعة الفنّية والأعمال الحقيرة.

يشدد سعيد عقل على أهمية الخيال لأنه يعتبره أهم عطية منحها الخالق للأنسان، وعلى أن الشعوب المتأخرة في نظره، لا تحترم هذه الموهبة، ولا تقيم لها أهمية، ولكن الشعوب العظيمة هي التي تقّدر الخيال. فالسياسة في رأيه تحتاج الى خيال. ويقول: "أنا مستعد لأن أتنازل عن كل شيء من عناصر موهبتي ما عدا الخيال. وهكذا رجل السياسة العظيم الذي يخلق الأوطان."[١] لذا نراه يحلم للبنان وفيه ويعمل على تنفيذ هذا الحلم، فيقول ل جان دورتال "أعتقد أن الطموح (الحلم) الذي غرسته في قلب الشباب اللبناني من خلال الخطب والكتابات أثّر في لبنان وأداره بطريقة ما. لقد كنت المدافع عن الأخلاق، ويمكنني أن أقول لكم أنه حتى الرجال مثل فؤاد افرام بستاني يعتقدون أن تعليمي سمح للبنان أن يكون على بعض الروحية والعظمة"[٢].

ما قمنا به هو محاولة متواضعة لكشف عمق وأهمية ناحية واحدة من نواحٍ عدة صال وجال فيها هذا المفكّر اللبناني الكبير. درسنا بعض كتاباته المنشورة والتي توافرت لدينا، لكن المهم أيضا جمع أرشيفه من جرائد ومجلات ودوريات وفهرسته ودرسه. في هذا الصدد مثلا تقول مي المر:"يجب درس كتابات سعيد عقل في مجلّة "الشراع" إذ تعتبر مدرسة في الأمّوية والاقتصاد والثقافة..."[٣]

درسنا الناحية الأمّوية وحدها، ولكن تبقى أفكاره في الاقتصاد ويجب درسها في شكل خاص. كما يجب ألا ننسى أفكاره الفلسفية والتربوية...

---

[١] الأشقر، م. س. ص ٢٥٤

[٢] (جان) دورتال، م. س. ص ٣٣

[٣] الأشقر، م. س. ص ٢٣

يعتبر سعيد عقل أن لبنان التاريخي، من الناحية الجغرافية والبشرية، يشكل كياناً مغايراً لمحيطه، ليس بفعل المصادفة التاريخية، بل نتيجة حركة هادفة لجماعات تاريخية صقلت خصوصية الجبل على مرّ الزمن.[١]

إذا كان البعض يعتبر لبنان ما دون الوطن أو الدولة ويسعى إلى إيجاد هذه الدولة أولا ومن ثم الأمّة[٢]، فإن سعيد عقل يعتبر لبنان أمّة منذ التكوين، نتيجة حبه لأمّته ولإيمانه المطلق بما يقول ويعتقد.

سعيد عقل يؤمن بأن الكيان اللبناني لم ينشأ مصادفة، ولا هو مصطنع، و لا هو جزء من أي بلد عربي آخر،لأن الدول العربية كلها نشأت حديثاً كدول مستقلة، علماً بأن مفهوم الدولة نفسه هو حديث في المنطقة العربية، بينما لبنان عرف في تاريخه صيغة استقلالية ذاتية ضمن الإمبراطورية العثمانية، اولاً عبر نظام الإمارة (١٥١٦-١٨٤٢) ثم عبر المتصرفية (١٨٦١-١٩١٥) الذي أنشأ نظاماً للحكم الذاتي، في وقت كان فيه الجميع خاضعين لنظام الولاية[٣]. من هنا نراه يسخّر كل ما يملك من عمر وفكر ومال من أجل هذه الأمّة اللبنانية. كان كاهنًا على مذبح لبنان أمضى حياته في الدفاع عنه ناظما فيه الشعر، مبشراً به في المدارس والجامعات. جال في العديد من البلدان معلياً الصوت وممجداً الله والعقل ولبنان.

---

[١] (جورج) شرف، **التوجهات السياسية في الأوساط الشيعية والمارونية ابان قيام دولة لبنان الكبير**. المركز الماروني للتوثيق والأبحاث بيروت، ٢٠١١، ص ٢٠.

[٢] (نقولا) ناصيف، **جمهورية فؤاد شهاب**، النهار للنشر، بيروت ٢٠٠٨، ص ٤١١

[٣] (داود) الصايغ، **النظام اللبناني في ثوابته و تحولاته**، النهار للنشر بيروت ٢٠٠٠، ص ١٥

المراجع:

كتب بالعربية:

١. (ابو جوده) صلاح، **هوية لبنان الوطنية نشأتها واشكالياتها الطائفية**، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٨.

٢. الأمم المتحدة، **جيران في عالم واحد**، منشورات عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٥.

٣. الإنجيل المقدس، متى ٥: ٤٨.

٤. (أندرسون) بنديكت، منابع الوعي القومي، في **القومية: مرض العصر أم خلاصه؟** دار الساقي، بيروت ١٩٩٥.

٥. (بن تمسك) مصطفى، العولمة وتنامي خطاب الهوية، منشور في **العولمة والنظام الدولي الجديد**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠، الطبعة الثانية.

٦. بولس (جواد)

- **التاريخ والجغرافيّا في نشوء الأمم والشعوب**، دار الأبجدية، بيروت، دون تاريخ
- **لبنان والبلدان المجاورة**، منشورات بدان، بيروت، دون تاريخ.
- **أهمّيّة التاريخ والجغرافيا**، دار الأبجدية، جونيه، ١٩٨٠.
- **الأسس الحقيقية للبنان المعاصر**، مؤسّسة جواد بولس، بيروت، دون تاريخ.

٧. تقي الدين (سليمان)، **المسألة الطائفية في لبنان**، دار ابن خلدون، بيروت دون تاريخ.

٨. تونبي (أرنولد)، لبنان تعبير التاريخ، منشور في **عهد الندوة اللبنانيّة**، منشورات النهار، بيروت ١٩٩٧.

٩. تيموفييف (ايغور)، **كمال جنبلاط الرجل والأسطورة**، دار النهار ، بيروت ٢٠٠١.

١٠. الجابري (محمد)، **الهوية.. العولمة.. المصالح القومية**. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١١.

١١. الجميّل (بطرس) ، **زجليات جبرايل إبن القلاعي**، ، دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢.

١٢. جنبلاط (كمال)، **الفكرة القوميّة أضواء على حقيقة القضية القوميّة الإجتماعية السوريّة**، الدار التقدمية، بيروت١٩٨٧.

١٣. الحاج (كمال)، **فلسفة الميثاق الوطني**، مطبعة الرهبانية اللبنانيّة، بيروت ١٩٦١.

١٤. حزب حراس الأرز،

- **الكلمة ...والسيف**، دون ذكر تاريخ أو دار النشر.

- **من عقيدة حرّاس الأرز**، ص ٢١، دون ذكر التاريخ أو الناشر.
- **لبيك لبنان**، دون ذكر تاريخ أو دار النشر

١٥. ديب (كمال)،

- **بيروت والحداثة – بيروت والهويّة الثقافة والهويّة من جبرانّ إلى فيروز**، دار النهار، بيروت ٢٠١٠.
- **على بوَابة الشرق مشاهدات لبنانية** ، دار الفارابي، ٢٠٠٣.
- **هذا الجسر العتيق**، دار النهار ، بيروت، ٢٠٠٨.

١٦. روحانا (رفيق) ، **سعيد عقل بيدر مجد وجمال**، منشورات جامعة اللويزي، بيروت ٢٠١٢.

١٧. زغيب (هنري)، **سعيد عقل أَنَّ حكى**، منشورات AUST، بيروت ٢٠١٠.

١٨. زين (زين)، **نشوء القوميّة العربيّة**، دار النهار، بيروت ١٩٨٦.

١٩. سعاده (انطون)،

- **سعاده في الأول من آذار**، الحزب السوريّ القوميّ الأجتماعي، بيروت ٢٠٠٤.
- **الإسلام في رسالتيه المسيحيّة والمحمدية**، نشر سنة ١٩٥٠.
- **نشوء الأمم**، منشورات الحزب السوريّ القوميّ الأجتماعي، بيروت، ١٩٩٤.

٢٠. السودا (يوسف)،

- **تاريخ لبنان الحضارِيّ**، دار النهار، بيروت ١٩٧٩.
- **في سبيل لبنان**، منشورات لحد خاطر، بيروت١٩٨٨.

٢١. (شاهين) جيروم، **المسيحيّون العرب بين ألفيّتين**، دار مختارات، بيروت ٢٠٠١.

٢٢. (شرف) جورج، **التوجهات السياسية في الأوساط الشيعية والمارونية ابان قيام دولة لبنان الكبير**. المركز الماروني للتوثيق والأبحاث بيروت، ٢٠١١.

٢٣. (الصايغ) داود، **النظام اللبناني في ثوابته و تحولاته**، النهار للنشر بيروت ٢٠٠٠.

٢٤. الصليبي (كمال)،

- **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار، بيروت، ١٩٩١، ص ١٦٠.
- **بيت في منازل كثيرة**، دار نوفل، الطبعة الثالثة، بيروت ٢٠٠٠.

٢٥. طرابلسي (فواز)، **صلات بلا وصل**، دار رياض الريس ، بيروت ١٩٩٩.

٢٦. عبد الجبار (فالح)، **القوميّة مرض العصر أم خلاصه**، دار الساقي، بيروت١٩٩٥.

٢٧. عقل (سعيد)،

- **الوثيقة التبادعيّة**، دون دار للنشر، بيروت ١٩٧٦
- عظمة الحواضر الفينيقية، مرتكز القومية اللبنانية، منشور في **أبعاد القوميّة**
- **اللبنانيّة**، منشورات جامعة الروح القدس، الكسليك– لبنان، ١٩٧٠،

- لبنان، معضلات وقوى، منشور في **عهد "الندوة اللبنانيّة" خمسون سنة من**
- **المحاضرة**، دار النهار ، بيروت ١٩٩٧،
- **لبنان إن حكى**، منشورات منشورات جامعة سيدة اللويزة، الطبعة الثالثة، ذوق مصبح ٢٠١٣
- **كما الأعمدة**، دار نوبلس، بيروت ١٩٩١
- **غد النخبة**، دار نوبلس، بيروت ١٩٩١
- **قدموس**، دار نوبلس، بيروت ١٩٩١

٢٨. عون(مشير)،**بين الدين والسياسة**، دار النهار، بيروت ٢٠٠٨ .

٢٩. فخري (ماجد)، **الحركات الفكريّة وروادها في عصر النهضة (١٨٠٠- ١٩٢٢)** ، دار النهار، بيروت ١٩٩٢.

٣٠. قرم (جورج) ، **شرق و غرب: الشرخ الأسطوري** ، دار الساقي، بيروت ٢٠٠٣.

٣١. كرم (أنطوان)، **العيد المئوي للجامعة الأميركية في لبنان**، AUB، بيروت،١٩٦٧.

٣٢. مبارك (كميل) ، **الجذور الثقافيّة للحروب اللبنانيّة**، منشورات الحكمة، بيروت ٢٠٠٩.

٣٣. مالك (شارل) ، **لبنان في ذاته**، مؤسسة بدران، بيروت، ١٩٧٣.

٣٤. مقدسي (أنطوان)، الأمة- الأشكالية، منشور في "**المسألة القوميّة على مشارف الألف الثالث دراسات مهداة إلى انطون مقدسي**"، دار النهار، بيروت ١٩٩٨.

٣٥. (ناصيف) نقولا، **جمهورية فؤاد شهاب**، النهار للنشر، بيروت ٢٠٠٨، ص ٤١١ .

٣٦. نجم بجاني (ريما) ، **سعيد عقل شاعر العجب**، لا دار للنشر، بيروت ٢٠١٦.

٣٧. نصار (ناصيف) ، **مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ . دراسة في مدلولات الأمة في التراث العربيّ الإسلاميّ** ، مكتبة الفكر الأجتماعيّ، بيروت ١٩٩٢.

٣٨. نصر (ناجي)، **سعيد عقل فيلسوفًا**، لا دار للنشر، بيروت ١٩٨٠.

٣٩. نصيرات (فدوى)،**المسيحيّون العرب وفكرة القوميّة العربيّة في بلاد الشام ومصر (١٨٤٠-١٩١٨)**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت ٢٠٠٩.

٤٠. نويهض (وليد)، لبنان الطائفي وأزمة البحث عن وطن، المنشور في **القوميّة مرض العصر أم خلاصة**، دار الساقي، بيروت ١٩٩٥.

٤١. هارون (جورج) ، **أعلام القوميّة اللبنانيّة: يوسف السودا**، منشورات الكسليك، الكسليك، ١٩٧٩.

كتب بالأجنبية

١. AKL (Said), **ECCE LIBANUS**, Beyrouth ١٩٩٧.
٢. BOULOS (Jawad), **peuples et civilisations du moyen orient**, éditions AWAD, Beyrouth ١٩٨٣.
٣. CHIHA (Michel),
politique intérieure, éditions du trident, Beyrouth ١٩٥٧.
Le Liban aujourd'hui, éditions du trident, Beyrouth ١٩٤٩.
٤. DURTAL (Jean), **Saïd AKL, un grand poète libanais**, nouvelles éditions latines, paris ١٩٧٠.
٥. RENAN (Ernest) **Qu'est-ce qu'une nation ?**, édition: le mot et le reste, Marseille, ٢٠٠٧.
٦. Ernest Gellner, Nations et Nationalisme, Edition: Payot, Paris ١٩٨٩.

أطروحات:

١- (الأشقر)أنطوان، أطروحة دراسات عليا في الأدب العربي غير منشورة، الجامعة اللبنانية، تحت عنوان: "**سعيد عقل ناقدًا فنيًا من خلال براءات جائزته**" الفنار ١٩٨٠.

٢- خليفة (نبيل)، أطروحة دكتوراه في الجامعة اللبنانيّة غير منشورة، **مدخل إلى الهويّة اللبنانيّة**، بيروت ١٩٩٧.

٣- KATTAR (Chloé), **L'itinéraire politique et intellectuel de Said Akl, ١٩٣٠-١٩٦٥**, Mémoire non publiée, Université Saint-Joseph, Beyrouth ٢٠١٥.

دوريات ومجلات:

١. أديب أورليان (هند)، لبنان الأسطورة في شعر سعيد عقل، منشور في **المجلة التربوية**، العدد ٤٥، آذار ٢٠١٠ .
٢. الترك (فؤاد)، سعيد عقل شلال من القيم والشيم، المنشور في **المجلة التربوية**، العدد ٤٥، آذار ٢٠١٠.
٣. سكاف (جورج)، **مجلة الجريدة**، العدد الثاني، تموز ٢٠١١، ص ٣٤-٣٥.
٤. عقل (سعيد)،
- الصياد، ٢١ نيسان ١٩٦٦
- لسان الحال، ، ٤ تَمّوز ١٩٦٤

- لسان الحال   ٢٤ شباط ١٩٦٥
- المر (مي) ، اللاهوت عند سعيد عقل، منشور في **مجلة الراية**، شباط ١٩٦٨
٥. النهار في ١٢ أيار ٢٠٠٠

قواميس ومراجع

١.   محيط المحيط

مواقع الكترونية:

- الموقع الرسمي لحزب حراس الأرز : .http://www.gotc.org/main_page.htm
- الفهرس الأبجدي للمواضيع

الفهرس العام